



ندوة

﴿ الجوانب الاقتصادية في حياة الأنبياء عليهم السلام ﴾

يوم السبت ٢٠ صفر ١٤٢٥هـ الموافق ١٠ أبريل ٢٠٠٤م

الجوانب الاقتصادية في حياة قارون

إعداد

الدكتور / أشرف محمد دوابه

خبير مصرفي

بنك فيصل الإسلامي المصري

مدينة نصر - القاهرة - جمهورية مصر العربية

تليفون ٤٠٣١٥١٤ - ٢٦١٠٣٠٨ - ٢٦١٠٣١١ - ٢٦١٠٣١٢ تليفاكس

Nasr City, Cairo, Egypt, Tel.: 4037514-2610308 - 2610311, TeiFax: No. 2610312

www.SAKC.gq.nu

E-mail: sale.ikamel@yahoo.com

❏ مقدمة :

ينظر الإسلام إلى الإنسان والكون والحياة نظرة كلية شاملة قوامها أن هذا الكون مخلوق لرب العالمين، وأنه سبحانه وتعالى ما خلق الإنسان عبثاً بل خلقه لعبادته قال تعالى : ﴿مَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(١).

ومن مقتضيات تحقيق معنى العبادة أن يقوم الإنسان بالخلافة في الأرض نيابة عن ربه فيما سخره له، أمينا فيما يسره بين يديه، ناهضا بتكاليفها وتحقيقا أقصى ثمراتها بعمارته وتنميتها وترقية الحياة فيها وفقا لإرادة المالك الحقيقي للكون وما فيه وهو الله عز وجل قال تعالى : ﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾^(٢).

والاستعمار من الله هو طلب العمارة، وهذا الطلب للوجوب، فلا تدل قرينة علي صرفه عن غيره، فالتعمير والتنمية واجب علي المسلمين كافة كل بحسب طاقته.

ولهذا يسر الله للإنسان السبيل أمام تعمير الأرض فحثه على ممارسة النشاط الاقتصادي، والعمل والسعي الدؤوب حتى يكون عضوا فاعلا في المجتمع منطلقا من أرضية نفع النفس والغير. قال تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾^(٣).

والمسلم في سعيه لتحقيق ذلك يعي أن المال وسيلة لا غاية، وأنه حتى يؤتي ثمره ويكون خيرا فلا بد له أن يتناوله في حله، ولا يحبسه عن حقه، ويخرجه في وجهه، ولا يتفاخر به، ويعترف بفضل الله عليه فيه، مع الاعتدال والتوازن في الاستمتاع بطيبات الحياة دون علو في الأرض ولا فساد حتى يفر بنفسه من مسلك قارون الذي ضرب الله تعالى به المثل في الشراء المادي والفقر الروحي وسوء العاقبة.

فقد امتلك قارون القناطير المقنطرة، وخلقت هذه الثروة منه شخصا قويا اجتماعيا واقتصاديا، وما عاب عليه أحد ذلك، بل طلب منه أن يعرف مصدر النعمة وأن يبتغي بماله وعلمه الدار الآخرة مع استمتاعه بالحياة الدنيا لكنه اختار طريق البغي والبطر، والاستكبار على الخلق، وجحود نعمة الخالق، فنسى أنعم الله وحكمته وتدييره وقال كلمته المتعالية كما حكى القرآن الكريم ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي﴾^(٤). وهي كلمة المطموس المغرور الذي يحسب الأسباب الظاهرة هي سبب كل شيء، وكانت النتيجة أن أصبح لاشيء فخسف الله به وبداره ويكنوزه الأرض، وآل إلى مصير لا يبتغيه كل عاقل لبيب.

وظاهرة قارون بني إسرائيل هذه ليست وليدة عهده ولم تنته بحسفه، بل ظاهرة تمتد عبر الزمان والمكان لتشمل كل من يسير على خطاه من الأمم والأفراد، ولتطال بشكل أو بآخر كل من يتشبه بقارون أو يرندي زيه أو يقلد أسلوبه سواء في اكتناز الذهب والفضة والأموال والعقارات والمتاع أو في تعامله الحقوقي مع الناس.

وفي هذا الإطار تأتي هذه الدراسة لتعرض إلى الجوانب الاقتصادية في حياة قارون من باب النصيح لكل مسلم وذلك من خلال ثلاثة مباحث : يتعرض المبحث الأول للتعريف بقارون وقومه، ويتعرض المبحث الثاني لدراسة للنظرة القارونية للمال ، بينما يتناول المبحث الثالث والأخير النظرة الإسلامية للمال، وما يرتبط به من ضوابط تحقق للمسلم الإحسان في هذا المال ليكون في يده غير مسيطر على قلبه، فيكسب بذلك عز الدنيا وكرامة الآخرة، وينتهي البحث بخاتمة تتضمن بعض النتائج التي يمكن الاستفادة بها في العصر الحاضر، والله الموفق والمستعان وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

د. أشرف محمد دوايه

المبحث الأول

قارون من قوم موسى

✕ قارون لغة :

قارون على وزن فاعول، وهو اسم أعجمي ممتنع للعجمة، وليس بعربي مشتق من قرنت، قال الزجاج : ولو كان قارون من قرنت الشيء لانصرف^(٥).

✕ قارون نسبا :

قارون هو ابن عم نبي الله موسى عليه السلام، ويمتد نسبه إلى نبي الله يعقوب عليه السلام، فهو قارون بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب عليه السلام، وموسى بن عمران بن قاهث. ويرى محمد بن إسحاق أن قارون كان عم نبي الله موسى عليه السلام، ولكن أكثر أهل العلم يزعمون أنه كان ابن عمه^(٦).

✕ النشاط الاقتصادي لقارون :

كان قارون من أندى الناس صوتا حينما يقرأ التوراة، حتى سمي المنور من حسن صوته^(٧)، وإلى جانب ذلك كان له القدرة على إدارة أعماله، فكان له باع طويل وخبرة عظيمة في أمور المكاسب من طرق شتى سواء في مجال الزراعة أو الصناعة أو التجارة، حتى صار له من الثروة ما يعجز عن حمل مفاتحه العصابة من الرجال الأقوياء الشداد، فكانت هذه المفاتيح من جلود الإبل المقوى وليس من الحديد وذلك من كثرتها ولحفة حملها، وكان كل مفتاح مثل الإصبع، ولكل خزينة متاح مستقل، فإذا ركب حملت المفاتيح على ستين بغلا أغر محجل، وبلغ من الترف والنعيم أن جعل أرض داره من فضة وأساسها من ذهب^(٨).

وقد اختلف المنسرون في طبيعة النشاط الاقتصادي لقارون، وانحصرت آراؤهم في أن قارون^(٩):

- أصاب كثيرا من كنوز يوسف.

- كان يعلم صناعة الكيمياء.

- كان يعلم صناعة الذهب.

- كان يعلم التجارات والزراعات وأنواع المكاسب.

ورغم ما قيل من اختلاف في طبيعة نشاط قارون فإن مضمون ذلك جميعه أن قارون قد برع في اكتساب الأموال وإدارتها.

✧ قارون في القرآن الكريم :

ورد ذكر قارون صراحة في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع :

- **الموضع الأول :** في سورة القصص حيث ورد ذكر قصة قارون في قوله تعالى : ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُوهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَتَّوْا مَكَانَهُ بِالْأُتَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَآئُ اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْ لَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بَنَّا وَيَكَآئُ لَا يَفْلَحُ الْكَافِرُونَ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾^(١٠).

- **الموضع الثاني :** في سورة العنكبوت حيث قرن قارون بفرعون وهامان في قوله تعالى : ﴿وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنُ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾^(١١).

- **الموضع الثالث :** في سورة غافر حيث قرن فرعون بهامان وقارون في قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾^(١٢).

✧ قوم قارون بين التاريخ والجغرافيا :

كان قارون من قوم موسى، وهم بنو إسرائيل، وبكشف الواقع التاريخي انتساب بني إسرائيل إلى نبي الله يعقوب عليه السلام، كما يكشف الجغرافي إلى توطنهم في عهد نبي

اللَّهُ يعقوب في الصحراء، وعيشتهم حياة البداوة وما تتضمنه من تربية ورعى المواشي، وتبادل منتجاتها مع أهل الحضار.

وانتقل بنو إسرائيل بعد ذلك للإقامة في مصر في عهد إدارة نبي الله يوسف عليه السلام لشئون مصر الاقتصادية، حيث استقدم أباه وأخوته، ونالوا حفاوة بالغة، وتناسل بنو إسرائيل وتكاثروا حتى صاروا شعباً كبيراً ذا مكانة مرموقة في المجتمع المصري.

ولم تدم مكانة بني إسرائيل على حالها، فبعد وفاة نبي الله يوسف عليه السلام وتولي فرعون حكم مصر عمد إلى إيذاء بني إسرائيل فسخرهم في الأعمال الشاقة والخطرة، وسامهم سوء العذاب، وذبح أبدهم واستحى نساءهم، وإلى هذا أشار القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضَعِفُ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾^(١٣).

ومع بعث موسى عليه السلام نبياً لبني إسرائيل ازداد اضطهاد فرعون لهم، ولم يسلم من عذابه صغيرهم ولا كبيرهم، حتى مكنتهم الله تعالى من النجاة من فرعون ويطشه، وانفلق لهم البحر بفضل ربهم فصار رحمة لهم، وهواناً ومغرقاً لفرعون وجنده من بعدهم.

وسار نبي الله موسى عليه السلام بقومه تجاه بيت المقدس من خلال صحراء سيناء الجرداء القاحلة، ويسر الله لهم أسباب الراحة من طعام طيب ومقام مريح، فأكرمهم بالمن والسلوى، ووقاهم حر الشمس بأن جعل السحاب يظللهم أينما حلوا وأينما ارتحلوا، وفي خضم هذه الآيات البينات لم يشكروا ولم يهتدوا، بل عبدوا العجل من دون ربهم، وطلبوا من نبي الله موسى عليه السلام أن يريهم الله جهرة.

وهكذا هو حالهم الذي يعكس سوء أدبهم مع ربهم ومع نبيهم، حيث قابلوا النعمة بالجحود، والإحسان بالعصيان، واستمروا على ذلك العهد حتى يومنا هذا، فقد تنكروا لدعوة نبيهم موسى عليه السلام وقتلوا الأنبياء، وسفكوا دماء الأبرياء، وفعلوا ما تقشعر له الأبدان من الآثام والموبقات فضلوا وزادهم الضلال ضللاً، فلعنهم الله ووصفهم في كتابه الكريم بالمغضوب عليهم، وضرب عليهم الذلة والمسكنة إلى يوم الدين بما عصوا وكانوا يعتدون.

المبحث الثاني

النظرة القارونية للمال

✧ نظرة قارون للمال :

قامت النظرية القارونية للمال على نسيان مصدر هذا المال وهو الله تعالى، ونسب ذلك الفضل لمن يكتسب المال، والبغي على خلق الله.

١- المال مال قرون ولا سلطان لأحد عليه :

ينظر قارون للمال على أنه ماله اكتسبه بجهده، ولا سلطان لأحد عليه، وإلى هذا أشار القرآن الكريم في قوله تعالى : «إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي»^(١٤).

فقد كان هذا جوابه على من جاءه من قومه ناصحين بأن يبتغي فيما آتاه الله من المال الدار الآخرة ولا ينس مع ذلك نصيبه من الدنيا، ويحسن كما أحسن الله إليه، ولا يبيع الفساد في الأرض، فقابل النصيحة بمزيد من البطر والغرور مدعياً أن ما أوتي من مال كان بسبب علمه وجهده وعبقريته، وأن من حقه أن يتكبر به ويتبرف فيه وينظر إلى غيره شذراً ناسياً أو متناسياً أن الله تعالى هو الذي منحه طاقات العلم والعمل، وأعطاه الصحة والقوة، وبها جميعاً تمكن من جمع هذا المال الوفير، ويغير هذه النعمة الربانية يبقى الإنسان بلا حول ولا قوة.

لقد أنسى قارون غروره مصدر هذه النعمة وموجدتها، وفتنه المال وأعماه الشراء، فلم يستمع لنداء الحق من قومه، ولم يعترف لله بفضلته، وظن أن الله تعالى فضله على قومه بهذا المال لاستحقاقه بعلمه وفضلته، فجاء التهديد من الله تعالى على قوله المتغترسة في قوله تعالى : «أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ دُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ»^(١٥).

فالله تعالى لو كان يؤتي الأموال من يؤتيه لفضل فيه وخير عنده ولرضاه عنه لم يكن يهلك ما أهلك من أرباب الأموال الذين كانوا أكثر منه مالا؛ لأن من كان الله عنه راضياً فمحال أن يهلكه الله وهو عنه راض، وإنما يهلك من كان عليه ساخطاً^(١٦).

٢- البغي :

يكشف القرآن الكريم عن مسلك قارون مع قومه، وسلوكه الشخصي تجاههم في قوله تعالى : ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ﴾^(١٧)، ﴿إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾^(١٨)، ﴿وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾^(١٩).

فهذه الآيات وإن كانت مجملة غير مفصلة لطبيعة البغي أو الفرح أو الفساد في الأرض إلا إنها تدع المجال مفتوحاً أمام متدبريها لإقرار أن قارون كان يمارس البغي بشتى الصور، ويدخل تحت هذا البغي فرح البطرين وفساد المفسدين. وقد اتجهت جهود المفسرين لتفسير البغي بما يلي :

١/٢- ظلم قارون لبني إسرائيل وغصبهم أرضهم وأشياءهم :

فقد ذكر يحيى بن سلام وابن المسيب وغيرهم أن قارون كان عاملاً لفرعون على بني إسرائيل فتعدى عليهم وظلمهم^(٢٠).

٢/٢- الكبر والعلو والغرور :

فقد كان قارون يزيد على قومه في طول ثوبه شبرا، ويتعمد الاستخفاف بهم لكثرة ماله وولده، ويتجاوز الحدود في التجبر عليهم، ويفرح بماله فرح البطرين الذين ينسبون ما آتاهم الله من أموال إلي أنفسهم بعلمهم وحيلتهم.

وقد روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : «أربع خصال من خصال آل قارون لباس الخفاف المقلوبة ولباس الأرجوان وجر نعال السيوف وكان الرجل لا ينظر إلى وجه خادمه تكبرا»^(٢١).

يقول الإمام القرطبي : إعجاب المرء بنفسه هو ملاحظته لها بعين الكمال مع نسيان نعمة الله فإن احتقر غيره مع ذلك فهو الكبر المذموم^(٢٢).

٣/٢- الحسد :

إذا كان إبليس أخرج من الجنة كبره وحسده، فإن قارون لم يخرج من رحمة ربه أيضاً سوى كبره وحسده، فقد سار على نهج إبليس اللعين فتكبر على قومه، ولم يعترف بفضل ربه، وحسد نبي الله موسى وأخاه هارون على ما آتاهما الله من المن والفضل.

فقد روى أنه لما جاوز موسى ببني إسرائيل البحر وصارت الرسالة لموسى والحبورة لهارون، فوجد قارون من ذلك في نفسه وحسدهما، فقال لموسى الأمر لكما وأنا أقرأ التوراة وليس لي شيء إلى متى أصبر. قال موسى : هذا صنع الله. قال : والله لا أصدقك حتى تأتي

بآية ، فأمر رؤساء بني إسرائيل أن يجيء كل واحد منهم بعصاه، فحزمها وألقاها في القبة التي كان الوحي ينزل عليه فيها، وكانوا يحرسون عصيهم بالليل، فأصبحوا وإذا بعصا هارون تهتز ولها ورق أخضر _ وكانت من شجر اللوز _ فقال قارون : ما هو بأعجب مما تصنع من السحر (٢٣).

وهكذا حسد قارون موسى على النبوة، وهارون على الجبورة وهي رياسة المذبح والقربين، فكان من نتيجة ذلك أن علا وتجبر وبغى وتكبر فأخذ الله نكال الآخرة والأولى.

٢/٤ - حرمان الفقراء من حق الله في المال :

فقد روى ابن عباس رضي الله عنهما : لما نزلت الزكاة على موسى أتاه قارون فصالحه عن كل ألف دينار على دينار، وعن كل ألف درهم على درهم، وعن كل ألف شاة على شاة، وعن كل ألف شيء على شيء، ثم رجع إلى بيته فحسبه فوجده كثيراً فلم تسمح بذلك نفسه، فجمع بني إسرائيل فقال لهم : يا بني إسرائيل إن موسى قد أمركم بكل شيء فأطعتموه، وهو الآن يريد أن يأخذ أموالكم، فقالوا : أنت كبيرنا فمرنا بما شئت فقال أمركم أن تحيثوا بفلانة البغي، فنجعل لها جعلاً حتى تقذف موسى بنفسها، فإذا فعلت ذلك خرج بنو إسرائيل عليه ورفضوه، فدعوها فجعل لها قارون ألف درهم، وقيل ألف دينار، وقيل طستا من ذهب، وقيل : قال لها إني أملك وأخلطك بنسائي على أن تقذفي موسى بنفسك غداً إذا حضر بنو إسرائيل، فلما كان من الغد جمع قارون بني إسرائيل ثم أتى موسى فقال : إن بني إسرائيل ينتظرون خروجك فتأمرهم وتنهاهم، فخرج إليهم موسى وهم في براح من الأرض، فقام فقال: يا بني إسرائيل من سرق قطعنا يده، ومن افترى جلدناه ثمانين، ومن زنا وليست له امرأة جلدناه مائة جلدة، ومن زنا وله امرأة رجمناه حتى يموت، فقال له قارون: وإن كنت أنت؟ قال: وإن كنت أنا، قال : فإن بني إسرائيل يزعمون أنك فجرت بفلانة قال : ادعوها فإن قالت فهو كما قالت، فلما أن جاءت قال لها موسى: يا فلانة أنا فعلت بك ما يقول هؤلاء؟ وعظم عليها، وسألها بالذي فلق البحر لبني إسرائيل وأنزل التوراة إلا صدقت، فتداركها الله تعالى بالتوفيق فقالت في نفسها : أحدث اليوم توبة أفضل من أن أؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت : لا، كذبوا ولكن جعل لي قارون جعلاً على أن أقذفك بنفسي، فخر موسى ساجداً يبكي ويقول: اللهم إن كنت رسولك فاغضب لي، فأوحى الله تعالى إليه: إني أمرت الأرض أن تطيعك، فمرها بما شئت، فقال موسى : يا بني إسرائيل إن الله بعثني إلى قارون فمن كان معه فليثبت مكانه ومن كان معي فليعتزل، فاعتزلوا ولم يبق مع قارون إلا رجلان، ثم قال موسى: يا أرض خذيهم (٢٤).

وهكذا مكر قارون بموسى من أجل أن يتهرب من إيتاء حق الله فيما بين يديه من مال، ولكن فضح الله أمره، ويد كيده إلى نحرة.

وإذا كان قارون مثلاً للثرى الذي يبخل على الله بحق الفقراء في ماله، فإن هذا المشهد يتكرر في كل عصر ومصر، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه النوعية من البشر الذين ملأ النفاق قلوبهم فاستعبدتهم المال، حتى أفقدهم عقولهم، وأنطق بالكذب والبهتان ألسنتهم في قوله تعالى : ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُرْضُونَ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾^(٥).

وجملة القول أن صور البغي لا تكاد تحصى ولا تعد، لما يتضمنه من كبر وغرور وحسد وبغضاء، وتعال على الناس وحرمانهم من حقوقهم، وإنفاق للمال في غير وجهه، وإمساكه عن حقه، وكل هذا يؤدي إلى حقيقة كبرى وهي الفساد في الأرض، بل هذا هو الفساد بعينه الذي يابأه الله ولا يحبه ولا يرضاه، ويبغض فاعله، وكل السبل الموصلة إليه.

☒ نظرة قوم قارون للمال :

تباينت نظرة قوم قارون للمال إلى فريقين : فريق تمني أن يكون لهم مثل ما أوتى قارون من المال، فنظروا إلى قارون على أنه ذو حظ عظيم ونصيب وافر من الدنيا، وطمحوا أن لو كانوا مكانه.

أما الفريق الثاني فنظروا إلى كبد الحقيقة، ولم تخدعهم المظاهر الزائفة لقارون وأمواله، فهم بما أوتوا من علم يرون أن ثواب الله خير من هذه الزينة الزائلة، فما عند الله خير وأبقى مما عند قارون من لذات الدنيا وشهواتها، لذا كان جل همهم توقيف الإيمان في القلوب والعمل الصالح بالجوارح، وانظر إلى الدنيا على أنها مزرعة للآخرة لانهاية المطاف ومطمع الآمال.

وقد ثبت من لنهاية المساوية لقارون صواب وجهة نظر الفريق الثاني، فقد رأى كلا الفريقين قارون وقد فاحت له الأرض بطنها لتبتلعه وتغمسه فيها بعد أن علا عليها واستطال فوقها، وذهب ضعيفا عاجزا غير مأسوف عليه، لا ينصره أحد، ولا يمنعه ماله وجاهه عما حل به ويداره ومن معه من خسف.

وهنا أدركت الفئة الأولى هذه الحقيقة رأى العين فتندموا على ما فرطوا فيه من التمني، واتجهوا إلى ربهم بالحمد والثناء على لطفه بهم، ومعافاتهم من المصير البائس الذي انتهى إليه قارون بين يوم وليلة، مع تقرير حقيقة هامة داخل وجدانهم وهي أن المال ليس دليل

رضا الله عن صاحبه فهو سبحانه يعطى ويمنع وبضيق ويوسع ويخفّض ويرفع ويبسط ويقدر بمشيئته لا لفضل وكرامة تقتضي البسط، ولا لهوان وسخط يوجب القبض.

✧ قارون وواقع رجال الأعمال اليوم :

إذا كان قارون يمثل مرحلة في الماضي فإن الظاهرة القارونية لا تقتصر على قارون بني إسرائيل فحسب، بل تمتد لتشمل كل من سار على نهجه واتخذ أسلوبه.

ويكشف واقع رجال الأعمال اليوم أن هناك فئة من هؤلاء الرجال ينطبق عليهم قوله

تعالى :

﴿رَجَالٌ لَا تُلِهِمُ تِجَارَةٌ وَلَا يَنْعُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾^(٢١).

فهؤلاء الرجال استعملوا ما وهبهم الله من المال الجزيل والنعمة الطائلة في طاعة ربهم وتقربوا إليه بأنواع عديدة من القربات طمعا في حسن ثواب الدنيا والآخرة، ولم يزددهم المال إلا تواضعا وخشية لربهم، يشكروا على هذه النعمة.

وإلى جانب هذه الفئة توجد فئة أخرى من رجال الأعمال فتنهم المال وأعمالهم الثراء، فتعلقوا بالشهوات من نساء وخمور وقصور، وقناطير مقنطرة من ذهب وفضة، وسيارات فارهة وخدم وحشم وحراسات، شخصية، وفرحوا بالمال فرح البطر الذي ينسى المنعم بالمال وينسى نعمته، وينشغل به قلبه، ويتناول به على خلق الله.

وهؤلاء هم قارون هذا العصر، بل إنهم أسوأ حالا من قارون بني إسرائيل الذي اعتمد على خبرته في كسب المال، أما هؤلاء فلم يمتلكوا ما بأيديهم من أموال سواء على سبيل الحقيقة أو المجاز، لأنها في معظمها أموال اقترضوها من البنوك واستحلوها استحلالات، «حتى استولى ٤٠ عميلا فقط من عملاء الائتمان في البنوك المصرية على ٤٦ مليار جنيه وهربوا بها خارج البلاد»^(٢٢).

وهكذا نجد أن لظاهرة القارونية التي بدأت بقارون لم تنته بعد، وكذلك لن تنته في زماننا هذا ولا الزمان الذي بعد، ففي كل جيل وكل مجتمع أكثر من قارون، وسيظل قارون أو بالأحرى الثياب والمظاهر القارونية وكفران النعمة تجد من يطلبها ويسعى إلى الحصول عليها طالما أننا نجد في المجتمعات من يتعد عن طريق الله، ويتجنب الاهتداء بهدى رسل الله وأنبيائه، ويعمل على مخالفة شرائع الله وكتبه.

المبحث الثالث

النظرة الإسلامية للمال

المال في اصطلاح الفقهاء يعنى كل ما يمكن حيازته، والانتفاع به انتفاعا معتادا^(٢٨). وينظر الإسلام للمال على أنه عرض من أعراض الحياة الدنيا، ووسيلة من وسائل تيسر الحياة على الناس، فهو لم يذم المال بصورة تضعه في مرتبة المنكرات أو المحرمات، ولم يمدحه المدح الذي يضعه في مرتبة المحمودات، فهو مجرد وسيلة إن تم استخدامها في الخير فهي خير، وإن تم استخدامها في الشر فهي شر. يقول تعالى : ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى﴾^(٢٩).

فالمال ليس مذموما لذاته ، بل يقع الذم لمعني من ابن آدم ، وذلك المعني إما شدة حرصه أو تناوله في غير حله ، أو حبسه عن حقه ، أو إخراجه في غير وجهه ، أو المفاخرة به ، ولهذا قال الله تعالى :

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾^(٣٠).

﴿ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَإِطْفَىٰ أَنْ رَأَاهُ اسْتَغْنَى ﴾^(٣١).

﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَاٰبِ﴾^(٣٢).

وعن عمرو بن عوف الأنصاري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «فوالله ما الفقر أخشى عليكم ولكني أخشى أن تبسط الدنيا عليكم كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها وتهلككم كما أهلكتهم»^(٣٣).

وعن كعب بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه»^(٣٤).

وعن كعب بن عياض رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : «إن لكل أمة فتنه وفتنة أمتي المال»^(٣٥).

وقد ساق القرآن الكريم المال بصورة لا هو مرغوب ولا هو مبغض فقال تعالى : ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾^(٣٦)، كما جعل مه قوام بني آدم ، فقال تعالى: ﴿ وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا ﴾^(٣٧) . وسماه خيرا فقال عز وجل : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴾^(٣٨) ، ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾^(٣٩) .

وعن عمرو بن العاص عن النبي ﷺ أنه قال: «نعم المال الصالح للرجل الصالح»^(٤٠).

وقال سعيد بن المسيب : لا خير فيمن لا يريد جمع المال من حله يكف به وجهه عن الناس ، ويصل به رحمه ، ويعطي من حقه^(٤١).

فالمال في الإسلام ليس غاية في ذاته وإنما هو وسيلة من وسائل تبادل المنافع وقضاء الحوائج، فمن استعمله في هذا السبيل فإن المال في يده خير له وللمجتمع، ومن استعمله على أنه غاية ولذة انقلب إلى شهوة تورث صاحبه المهالك، وتفتح على الناس أبوابا من الفساد.

يقول الإمام النزالى : «المال مثل حية فيها سم وترباق ، ففوائده ترباقه ، وغوائله سمومه ، فمن عرف غوائله وفوائده أمكنه أن يحترز من شره ويستدر من خيره»^(٤٢).

ويقول يحيى بن معاذ : «الدرهم عقرب ، فإن لم تحسن رقيته فلا تأخذه فإنه إن لدغك قتلك سمه ، ورقيته أخذه من حله ووضعه في حقه . وقال : مصيبتان للعبد في ماله عند موته لا تسمع الخلائق بمثلهما ، يؤخذ منه ماله ، ويسأل عنه كله»^(٤٣).

فالمال على كل حال متاع من متاع الدنيا لا يحتقره الإسلام حتى يخلى أيدي المسلمين منه ، ولا يعتز به حتى يجعله من هم المسلمين ، ولكن يجعله وسيلة إلى الخير إن أراد صاحبه به الخير ، ويريد للمسلم أن يكون عاملا مكافحا محسنا في المال ليكون بيده فيستغله بخيره وخير أمته وخير أهله ، ويعتبر هذا كله من صميم العبادات^(٤٤).

❑ الإحسان في المال وضوابطه :

١- مفهوم الإحسان في المال :

الإحسان في المال يعني استعمال مال الله في طاعة الله ، وذلك بأن يأتي صاحب المال بالمال من حلال ، وينفق ما آتاه الله منه في وجوهه وسبله ، مبتغيا رضا الله تعالى والدار الآخرة ، غير ناسيا نصيبه من الدنيا ، مستشعرا إحسان الله عليه بتوسيع رزقه عليه.

فالمال هبة وإحسان من الله تعالى يجب أن يقابله العبد بالإحسان فيه، وذلك بإحسان التقبل، وإحسان التصرف، وإحسان المراقبة لله تعالى، وإحسان الشعور بالنعمة، وإحسان الشكران، وإحسان إلى الخلق.

٢- ضوابط الإحسان في المال :

يضع الإسلام ضوابط للإحسان في المال، وتتعدد هذا الضوابط ما بين ضوابط إيمانية، وأخرى أخلاقية، وثالثة تنموية.

١/٢- ضوابط إيمانية :

الإيمان والعمل قرينان مرتبطان ارتباط الروح بالجسد، وقد قرن الإيمان بالعمل الصالح في كتاب الله أكثر من مائتي مرة، فالإيمان عامل ضروري ومهم لحركة المعاملات، بل لحركة الحياة جميعها، ومن هنا تبدو أهمية الجمع بين الإيمان والعمل الصالح لأصحاب الأموال من خلال اعتقادهم اعتقاداً جازماً بما يلي :

أ- المال مال الله والبشر مستخلفون فيه :

ومقتضى ذلك أن يوقن كل صاحب مال بأن ماله وديعة مستردة كما هو نفسه وديعة مستردة، وأن الله استخلفه في هذا المال ومقتضى هذه الخلافة أن يتصرف في المال وفقاً لإرادة المالك الحقيقي له وهو الله تعالى، وأن ينظر ماذا هو فاعل فيه؟ مستشعراً قوله تعالى : «وَبَسَّخَلَفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ»^(٥٥)، «ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ»^(٥٦)، وقوله صلى الله عليه وسلم: «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية أو عمل ينتفع به أو ولد صالح يدعو له»^(٥٧).

وبذلك ينفى الغرور عن قلبه، ويسعى إلى الاستفادة مما سخره الله في الكون من مقومات بتسخير عقله وعلمه وجمع همه وإرادته للانتفاع بهذه المقومات واستثمار خيرها.

ب- استحضار النية في الأعمال :

ومقتضى ذلك أن يستحضر صاحب المال النية في أعماله المالية كما يستحضرها في أعماله التعبدية، فالمسلم يعمر الأرض، ويزيد الثروة، ويغرس الثمرة، ويدير الآلة، ويستخرج ركاز الأرض، ويتاجر فإذا تطلع إلى ما عند الله كان له الأجر في الدنيا والآخرة. وفي هذا يقول الرسول ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى»^(٥٨)، «المؤمن يؤجر في كل شيء حتى في اللقمة يرفعها إلى في امرأته»^(٥٩).

إن الإسلام يريد من وراء ذلك أن يكون المسلم ذا وجه واحد في العبادة وفي المعاملة، وعلى قدر إخلاص المرء لربه واستحضار النية يكون مدد الله تعالى وعونه وكفايته وولايته، فالإمداد على قدر الاستعداد إمداد بالتوفيق والسداد على حسب ما في القلوب من نية وإخلاص.

ج- الإيمان بقضاء الله وقدره :

ومقتضى ذلك أن يوقن كل صاحب مال بأن ما يصيبه لم يكن ليخطئه وما أخطئه لم يكن ليصيبه، وأن نفعه وضرره بأمر ربه، فإن أصابه ربح في ماله شكر الله على ذلك، وإن أصابه غير ذلك كان راضياً مطمئناً موثقاً نفسه أن الله لا يفعل إلا ما فيه صلاحه، ومن نعمة الله عليه ولطفه به أن لم يجعل هذا الأمر في دينه.

يقول ابن مسعود رضي الله عنه: إن العبد ليهم بالأمر من التجارة والإمارة حتى ييسر له فينظر الله إليه فيقول للملائكة: اصرفوه عنه فإنه إن يسرته له أدخلته النار فيصرفه الله عنه فيظل ينتظير بقوله سبني فلان وأهانني فلان وما هو إلا فضل الله عز وجل ^(٥٠).

د- الأخذ بالأسباب والعمل لجلب الأرزاق مع التوكل على الله :

ومقتضى ذلك أن يأخذ كل صاحب مال بالأسباب لجلب الأرزاق وتنمية ماله مع التوكل على الله، فالله الذي يرزق الطير رواحاً وغدواً قادر على أن يرزقه، وإلى هذا أشار الرسول الكريم في قوله صلى الله عليه وسلم: «لو أنكم كنتم توكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً» ^(٥١).

وقد ساق القرآن الكريم آيات عديدة تحث على السعي في طلب المعيشة والارتزاق فقال تعالى: «وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا» ^(٥٢).

«وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ» ^(٥٣).

«لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ» ^(٥٤).

«وَأَخْرُونَ يُضْرَبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ» ^(٥٥).

«فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ» ^(٥٦).

«هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ» ^(٥٧).

كما حث الرسول صلى الله عليه وسلم على هذه الحقيقة في العديد من أحاديثه، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله يحب المؤمن المحترف» (٥٨).

وسئل النبي صلى الله عليه وسلم عن أفضل الكسب فقال: «بيع مرور وعمل الرجل بيده» (٥٩).

وجاء في بعض الآثار أن تسعة أعشار الرزق في التجارة (٦٠)، وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: «أيها الناس اتقوا الله وأجملوا في الطلب فإن نفسا لن تموت حتى تستوفي رزقها وإن أبطأ عنها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب خذوا ما حل ودعوا ما حرم» (٦١).

وهذا الحديث ذكر الإجمال في الطلب ولم يقل اتركوا الطلب، لأن الأخذ بالأسباب أمر ضروري لجلب الرزق، وفي هذا يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق يقول اللهم ارزقني فقد علمتم أن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة.

هـ- الإيمان بأد الاستغفار وتقوى الله من موجبات الرزق:

ومقتضى ذلك أن يتقي كل صاحب مال ربه فيما أودعه من مال، وأن يكثر من استغفاره ويتجنب معصيته، لأن في ذلك كفاية له من كل مؤونة، وفتح لأبواب رزقه من حيث يحتسب ولا يحتسب، وإلى هذا أشار القرآن الكريم في قوله تعالى:

﴿قُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلَ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا يُدْخِلُكُمْ بِأَمْوَالٍ يَبِينُ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾ (٦٢).

﴿وَأَنْ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾ (٦٣).

﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ (٦٤).

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ (٦٥).

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «من لزم الاستغفار جعل الله من كل هم فرجا، ومن كل ضيق مخرجا، ورزقه من حيث لا يحتسب» (٦٦).

و- الإيمان بأن الله فضل بعض الناس على بعض في الرزق :

ومقتضى ذلك أن يؤمن كل صاحب مال بأن التفاوت في الأرزاق سنة من سنن الله تعالى، فالناس متفاوتون وفقاً لما خصهم الله من مواهب فطرية أو منافع تقوم على هذه المواهب. فلا يمدن عينيه إلى من هو أكثر منه رزقا ولينظر لحال من هو أقل رزقا منه، ويحمد الله تعالى على ما هو عليه، فقد تكون بسطة الرزق ابتلاء من الله كما يكون التضييق منه لحكمة يقتضيها وبحقها بالابتلاء. يقول تعالى: ﴿ وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَأْدِي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ (٦٧).

وبذلك تصفوناس المسلم وينخلع من قلبه الغل والحد والحسد التي هي أمراض القلوب وحالقة الدين، فيعيش سليم القلب مبرأ من وساوس الضغينة وتوارث الأحقاد، فإذا رأى نعمة تنساق له أو لغيره رضى بها وأحس فضل الله فيها وذكر قول رسول الله ﷺ : «الله ما أصبح بي من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك فلك الحمد ولك الشكر» (٦٨).

ز- المحافظة على مقاصد الشريعة في العبادة :

ومقتضى ذلك أن لا يشغل المال صاحبه عن واجباته الدينية، عن ذكر الله، وعن الصلاة وإيتاء الزكاة والحج، وير الوالدين وصلة الأرحام، والإحسان إلى الناس، ومراعاة حقوق الأخوة في الإسلام وحقوق الجيران، والقناعة بالحلال وعدم التطلع إلى الحرام، والإثراء على حساب الآخرين... الخ.

فلا ينبغي لمسلم أن يشغله معاشه عن معاده، فيكون عمره ضائعا وصفقته خاسرة، وما يفوته من الريح في الآخرة لا يفي به ما ينال في الدنيا فيكون اشترى الحياة الدنيا بالآخرة، بل العاقل ينبغي أن يشفق على نفسه، وشفقته على نفسه بحفظ رأس ماله، ورأس ماله دينه وتجارته فيه (٦٩).

يقول معاذ بن جبل في وصيته : «إنه لا بد لك من نصيب في الدنيا وأنت إلى نصيبك من الآخرة فأبدأ بنصيبك من الآخرة فخذها فإنك ستمر على نصيبك من الدنيا فتنتظمه» (٧٠).

وقد مدح القرآن الكريم عبادة الذين يجمعون بين طلب الرزق بالبيع وبين العبادة، فقال تعالى: ﴿ فِي بُيُوتٍ أُتِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (٧١).

فهؤلاء الرجال يبيعون وبشرون ولكن إذا أقبل وقت الصلاة أقبلوا على حق ربهم مؤدين، وهم للزكاة فاعلين، فتطيب أنفسهم، وتطهر أموالهم، ويبارك الله لهم. يقول تعالى : **﴿إِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾** (٧٢).

وبصف قتادة صحابة رسول الله ﷺ بأنهم : كانوا يتبايعون ويتجرون ولكنهم إذا نابهم حق من حقوق الله لم تلهمهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله حتى يؤديه إلى الله (٧٣).

إن صاحب المال إذا أدى فريضة الله ينشرح صدره، وبطمئن قلبه، ويسأل الله من فضله، فيقبل على عمله وقد اشتد نشاطه وعلت همته، وقد كان الصحابي عراك بن مالك ؓ إذا صلى الجمعة انصرف فوقف على باب المسجد فقال: «اللهم إني أجبت دعوتك وصليت فريضتك وانتشرت كما أمرتني فارزقني من فضلك وأنت خير الرازقين» (٧٤).

وهكذا يوازن المسلم بين مقتضيات الحياة في الأرض من عمل وكد ونشاط وكسب وبين مقتضيات العبادة لله عز وجل فيحيا قلبه، وتحقق له المقدرة على الاتصال والتلقي والنهوض بتكاليف الأمانة الكبرى التي اختصه الله بها.

٢/٢ - ضوابط أخلاقية :

حسن الخلق فضيلة إنسانية حث عليها الإسلام، وجعلها ثمرة لكثير من العبادات التي أمر بها، واعتبرها إمارة الكمال البشري في أرقى مراتبه حتى لم يوصف النبي ﷺ إلا بها في معرض مدحه وبيان فضله، فقال تعالى : **﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾** (٧٥).

وقد شهد تاريخ الإسلام صحابة للنبي ﷺ تربوا على يديه، وملكوا من أموال الدنيا ما يغنيهم أمثال عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص - رضي الله عنهم - فما زادهم هذا المال إلا قربا إلى الله، فكانوا قرآنا يمشى على الأرض، وبأمثال هؤلاء من صحابة رسول الله دخلت الكثير من شعوب الأرض في الإسلام دون قتال تأثرا بأخلاقيات التجار المسلمين.

فصاحب المال يجب أن يتمسك بأخلاق وآداب الإسلام لقدرتها على تأهيله لكي يكون صالحا لكل عمل من أعمال الخلافة في الأرض متميزا عن غيره من البشر. فبحسن الخلق يصل المسلم إلى أعلى الدرجات، ويسع الله له قلوب خلقه، ويفتح له أبوابا من الرزق لا يصل إليها إلا بهذه الصفة الكريمة حيث يكون سهل العريكة لين الجانب طلق الوجه قليل النفور طيب الكلمة يحترم الكبير ويرعى الصغير متمثلا قول الرسول ﷺ «أهل الجنة كل حين لين سهل قريب» (٧٦).

وإذا كان البعد الإيماني له دوره في المعاملات، فإن هذا البعد حتى يؤتى ثمره لا بد أن ينعكس في صورة سلوك يتحرك به المسلم، وقد حدد الإسلام مجموعة من الضوابط الأخلاقية التي ينبغي أن يتحلى بها كل صاحب مال، ويمكن إجمالها فيما يلي :

أ- التعامل بالأخلاق الإسلامية :

ويأتي في مقدمة هذه الأخلاق ما يلي :

أ/أ- الصدق :

الصدق فضيلة وخلق إسلامي رفيع، والاستمساك به في كل شأن وتخريه في كل مسألة دعامة ركينة في خلق المسلم وسلوكه، ووسيلة من وسائل إصلاح عمله وغفران ذنوبه. يقول تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلَحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ (٧٧).

ومن معاني الصدق أن يلتزم كل صاحب مال في بيعه وشرائه جانب البيان والوضوح والشفافية بحثاً للطمأنينة في النفوس، حتى يبارك الله في تعاملاته، ويرفع درجاته في الجنان إلى درجة النبيين والصديقين والشهداء. فعن أبي سعيد عن النبي ﷺ أنه قال: «التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء» (٧٨).

وعن حكيم بن حزام رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : «البيعان بالخيار ما لم يتفرقا أو قال حتى يتفرقا فإن صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما وإن كذبا وكتما محقت بركة بيعهما» (٧٩).

ومن معاني الصدق أن يتجنب كل صاحب سلعة ترويج سلعته بالدعاية الكاذبة والحلف الكاذب أو تقديم معلومات مضللة عن السلعة تغري المشتري، كما نرى في عصرنا الحاضر مما تعج به وسائل الإعلام من منتجات لا يعكس إعلانها لب حقيقتها، وقد حذر الإسلام من مثل هذا العمل الذي يخلع على الأسواق ويفقد الثقة والطمأنينة في النفوس، فعن إسماعيل بن عبيد بن رفاع عن أبيه عن جد، أنه خرج مع النبي ﷺ إلى المصلى فرأى الناس يتبايعون فقال يا معشر التجار فاستجابوا لرسول الله ﷺ ورفعوا أعناقهم وأبصارهم إليه فقال: «إن التجار يبعثون يوم القيامة فجارا إلا من تقى الله وبر وصدق» (٨٠).

وعن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ولا يزكّيهم ولهم عذاب أليم قال : فقالها رسول الله ﷺ ثلاث مرات فقلت : خابوا وخسروا ومن هم يا رسول الله؟ فقال : «المسبل والمنان والمنفق سلعته بالحلف الكاذب» (٨١)، وفي رواية «ورجل جعل

اللَّهُ بضاعته لا يشتري إلا بيمينه ولا يبيع إلا بيمينه»^(٨٢)، وفي رواية أخرى «ورجل اتخذ الأيمان بضاعته يحلف في كل حن وباطل»^(٨٣).

لقد سمى النبي ﷺ اليمين الكاذبة باليمين الغموس لأنها تغمس صاحبها بالإثم في الدنيا وبالنار في الآخرة، ولا ينظر الله إلى صاحبها يوم القيامة، وهى تذر الديار بلاقع، وتخرب البيوت والعياذ بالله.

إن الذي يتاجر باسم الله ولا يتورع أن يجعله بضاعة يحلف به كاذبا وبغلف الأيمان في كل بيع وفي كل شراء يرتكب إثما عظيما، ولا ينظر الله إليه يوم القيامة ولا ينال شيئا من رحمته تعالى، فاسم الله ينبغي أن يحل ويقدس ولا يتنذل «وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ»^(٨٤)، فكيف يبيع تاجر لنفسه أن يستعمل اسم الله تعالى في الحلف لترويج بضاعته؟! وكيف يضحي عاقل بجنة عالية قطوفها دانية بريح فان، ويستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير، ويقدم ربح الدنيا على ربح الآخرة!.

روى عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنهما أن رجلا أقام سلعة في السوق فحلف فيها لقد أعطى بها ما لم يعطه ليوقع فيها رجلا من المسلمين فنزل قوله تعالى : «إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمًّا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ»^(٨٥).

إن الكذب وترويج السلع بالحلف بالله تعالى من أجل كسب مضاعف أو تغطية عيب يخرج المسلم من دائرة الصدق إلى دائرة الخيانة، ويحق الله بفعله هذا بركة بيعه، وفي هذا يقول الرسول ﷺ: «كبرت خيانة أن تحدث أخاك حديثا هو لك مصدق وأنت له كاذب»^(٨٦)، «اليمين الكاذبة منفقة للسلعة ممحقة للبركة»^(٨٦).

ومن معاني الصدق أيضا أن يحافظ صاحب المال على شركائه ويحب لهم ما يحب لنفسه، ويستوي عنده درهمه ودرهمهم، فيفصح لهم عما بينهم من معاملات بكل شفافية دون استئثار بمعلومات لنفسه تحول بينهم وبين معرفة مصير أموالهم، فعن أبي هريرة ؓ أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله يقول أنا ثالث الشريكين ما لم يخن أحدهما صاحبه فإذا خانه خرجت من بينهما»^(٨٨)، وعن السائب بن أبي السائب أنه قال للنبي ﷺ: «كنت شريكي في الجاهلية فكنت خير شريك كنت لا تداريني ولا تاريني»^(٨٩).

أ/ب- الأمانة :

يريد الإسلام من كل صاحب مال أن يكون ذا ضمير يقظ تصان به حقوق الله وحقوق الناس وتحرس به معاملاته من دواعي التفریط والإهمال، ومن ثم أوجب عليه أن يكون أميناً مع نفسه ومع غيره، ويجب عليه أن لا يستهين بذلك أو يفرط في حق ما استودع من أمانة لأنها مسئولية عظيمة تثقل كاهل الو-نود كله. قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ (٩٠).

وعن أنس بن مالك قال ما خطبنا نبي الله ﷺ إلا قال: «لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له» (٩١).

وقد لقب النبي ﷺ قبل البعثة بالصادق الأمين واستخلف عند هجرته ابن عمه على بن أبي طالب ﷺ ليسلم الشركين الودائع التي استحفظها رغم أنهم هم الذين استنفروه من الأرض، واضطروه إلى ترك موطنه في سبيل عقيدته.

وكذلك شوهدت دلائل الأمانة على نبي الله موسى عليه السلام حين سقى لابنتي الرجل الصالح ورفق بهما، وكان معهما عفيفاً شريفاً ﴿يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ (٩٢).

إن الأمانة تدعو إلى رعاية الحقوق وتعصم عن الدنيا، ولن يتأتى لها ذلك إلا إذا استقرت في وجدان المرء وملك عليه مشاعره، وإلى هذا يشير حديث حذيفة بن اليمان ﷺ عن رسول الله ﷺ «أن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال ثم علموا من القرآن ثم علموا من السنة» (٩٣).

ومن معاني الأمانة أن يكون كل صاحب مال أميناً في الكيل والميزان فلا يبخس الناس أشياءهم، ويكيل لهم غير ما يتمنى أن يكتال له. قال تعالى:

﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ﴾ (٩٤).

﴿وَأَقِيمُوا الزِّنْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ (٩٥).

﴿وَبَلِّغْ لِلْمُطَفِّئِينَ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٩٦).

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ لأصحاب الكيل والوزن : «إنكم وليتم أمرا فيه هلكت الأمم السالفة منكم»^(٩٧) .

وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال: أقبل علينا رسول الله ﷺ فقال : يا معشر المهاجرين خمس إذا ابتليتم بهن وأعوذ بالله أن تدركوهن لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا، ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المثونة وجور السلطان عليهم، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا، ولم ينقصوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلب الله عليهم عدوا من غيرهم فأخذوا بعض ما في أيديهم، وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله ويتخيروا مما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم»^(٩٨).

يقول الإمام الغزالي : «وتحريم التطفيف في الكيل ليس كونه مكيلا بل لكونه أمرا مقصودا ترك العدل والبضعة فيه، فهو جار في جميع الأعمال فصاحب الميزان في خطر الويل، وكل مكلف فهو صاحب موازين في أفعاله وأقواله وخطراته، فالويل له إن عدل عن العدل، ومال عن الاستقامة»^(٩٩).

ومن معاني الأمانة أيضا أن يظهر التاجر عيب بضاعته لمشتريها إذا كان فيها عيبا عملا بحق المسلم عليه في النصيحة، فقد كان جرير البجلي إذا أقام سلعة بصر عيوبها لمن يرغب في شرائها ثم خيره فقال: إن شئت فخذ وإن شئت فترك، فليل له يرحمك الله إنك إذا فعلت هذا لم ينفذ لك البيع فقال: إنا بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على النصح لأهل الإسلام^(١٠٠).

لقد فهم هذا الصحابي الجليل من النصح أن لا يرضى لأخيه إلا ما يرضاه لنفسه، ولم يعتقد أن ذلك من فضائل الأعمال فحسب، بل اعتقد أنه من شروط الإسلام الداخلة تحت بيعته لرسول الله ﷺ .

ورغم ذلك فإن البعض من أصحاب الأموال قد يشق عليهم إظهار عيب سلعتهم، ويرون أن ذلك يحقق كسادا وانهيارا لتجارتهم، ولكن من يلتزم بتعاليم دينه يسلم أمره لربه، ولا يأبى إلا ما يرضاه له، ولسان حاله على الدوام سمعنا وأطعنا، فعن واثلة بن الأسقع قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «لا يحل لأحد بيع شيء لا يبين ما فيه»^(١٠١)، وعن عقبة بن عامر قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : «المسلم أخو المسلم ولا يحل لمسلم باع من أخيه بيعا فيه عيب إلا بينه له»^(١٠٢).

كما أن تلبيس العيوب وترويج السلع لا يزيد رزقا، بل يحقه ويذهب بركته، فالمال لا يزيد من خيانة كما لا ينقص من صدقة، ودرهما واحدا يبارك الله فيه ويكون سببا لسعادة الإنسان في الدنيا والدين خير من الملايين المحققة البركة والتي قد تكون سببا لهلاك مالكها فيخسر الدنيا والدين، فالعاقل هو الذي يعلم أن ربح الآخرة هو الحيوان، وأنه خير من ربح الدنيا وما فيها، وأن فوائد أموال الدنيا تنقضي بانقضاء العمر وتبقى مظالمها وأوزارها، والخير كله في سلامة الدين.

المسح - السماحة :

السماحة مفتاح الرزق وسبيل العيش الطيب. ومن فوائد سماحة سهراته الشامل ويسير المعاملات، وسرعة دوران رأس المال. يقول الرسول ﷺ : «رحم الله رجلا سمحا إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى» (١٠٢).

فمن معاني السماحة التيسير في البيع والشراء، فلا يغالي المسلم في الأسعار إذا كان بائعا لما في ذلك من تحقيق ظلم لأخيه المسلم وتضييق الحياة عليه، ولهذا روى عن معقل بن يسار عن النبي ﷺ وهو في مرض موته حيث قال للناس من حوله أجلسوني حتى أحدثكم عن رسول الله ﷺ فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول : «من دخل في شيء من أسعار المسلمين ليغليه كان حقا على الله أن يقعه بعظم من النار يوم القيامة» فقليل له أسمعت هذا من النبي ﷺ قال غير مرة ولا مرتين (١٠٤)، أي أنه صلى الله عليه وسلم ذكر ذلك مرارا لعظم خطر هذا الأمر .

فلم لا يقنع كل تاجر بربح معقول ولا يغالي في ربحه كما نرى في واقعنا المعاصر! لما هذا الطمع؟! ولم هذا الجشع والشراء على حساب الآخرين؟! إن العاقل من يبيع كثيرا ويربح قليلا فيجمع بين ربحي الدنيا والآخرة، وإذا كان الإسلام لم يحدد نسبة للربح فإنه ينبغي للمسلم عند تحديد سعر البيع مراعاة روح العدل، فالعدل أمر فطري جاء الإسلام به، ودعا إليه.

ومن معاني السماحة أن يتقبل المسلم غبن أخيه البائع إذا كان ضعيفا أو فقيرا فيسمو بنفسه من الركون إلى عبودية المال، وكذلك أن يقيّل البائع أخاه المسلم إذا طلب منه إعادة السلعة إليه، فيقبل ذلك منه ويفر بنفسه من أن يكون من الذين رفعوا على بضائعهم شعار (البضاعة لا ترد ولا تستبدل) ، وذلك لأن المشتري لا يطلب ذلك إلا لأنه نادم متضرر، وينبغي ألا يرضى البائع لنفسه أن يكون سببا في ضرر أخيه، بل الأولى أن يرفع الضيق والخرج عنه لما في ذلك من أجر كبير، فعن أبي هريرة ؓ قال : قال رسول الله ﷺ : «من أقال مسلما عثرته أقاله الله عثرته يوم القيامة» (١٠٥).

ومن معاني السماحة أن يسعى المسلم إلى حسن قضاء ما عليه من ديون، ويربأ بنفسه أن يكون ممن يأكلون أموال الناس بالباطل سواء أكانت هذه الأموال لبنوك أو لأفراد، وليحرص على أداء دينه في ميعاد استحقاقه بإحسان، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : كان لرجل على النبي صلى الله عليه وسلم سن من الإبل فجاءه يتقاضاها فقال : أعطوه فطلبوا سنه فلم يجدوا له إلا سنا فوقها فقال: أعطوه فقال أوفيتني أوفى الله بك. قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إن خياركم أحسنكم قضاء» ^(١٠٦).

وعن جابر بن عبد الله قال : «كان لي على رسول الله صلى الله عليه وسلم دين فقضاني وزادني» ^(١٠٧).

وعن إسماعيل بن إبراهيم بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي عن أبيه عن جده أن النبي صلى الله عليه وسلم استلف منه حين غزا حنيناً ثلاثين أو أربعين ألفاً فلما قدم قضاها إياه ثم قال له النبي صلى الله عليه وسلم: «بارك الله لك في أهلك ومالك إنما جزاء السلف الوفاء والحمد» ^(١٠٨).

وإذا تعثر المسلم في السداد فلا يكثر من الأعذار ولينو القضاء، فعن أبي أمامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من أدان ديناً وهو ينوي أن يؤديه أدى الله عنه يوم القيامة ومن إستدان ديناً وهو لا ينوي أن يؤديه فمات قال الله عز وجل يوم القيامة ظننت أني لا آخذ لعبدي حقه فيؤخذ من حسناته فيجعل في حسنات الآخر فإن لم تكن له حسنات أخذ من سيئات الآخر فجعلت عليه» ^(١٠٩).

وعن عبيد الله بن عتبة قال أدانت ميمونة ثمانمائة درهم فقال لها أهلها تستدينين وليس عندك ما تقضين فقالت إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «من أدان ديناً وهو يحدث نفسه بقضائه أعانه الله عليه» ^(١١٠)، وفي رواية أخرى «من أدان ديناً وهو يريد أن يقضيه أعانه الله عليه» ^(١١١).

ومهما كلمه صاحب الحق بكلام ولو كان شديداً فليحتمل ذلك وليقابله باللطف اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم إذ جاءه صاحب دين عليه عند حلول الأجل ولم يكن قد اتفق قضاؤه فجعل الرجل يشدد الكلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم فهم به أصحابه فقال: «دعوه فإن لصاحب الحق مقالا» ^(١١٢).

ومن معاني السماحة أن يقوم المسلم بالتيسير على المدينين المتعثرين فيحسن لهم مرة بالمساحة وخط البعض، ومرة بالإمهال والتأخير عملاً بقوله تعالى : ﴿وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ^(١١٣)، وقوله صلى الله عليه وسلم : «رحم الله امرأ سهل البيع سهل الشراء سهل الأخذ سهل الإعطاء سهل القضاء سهل التقاضي» ^(١١٤)، «اسمح بسمحك» ^(١١٥)، «من سره أن ينجيه الله من كرب يوم القيامة فلينفس عن معسر أو يضيع عنه» ^(١١٦).

وقد روى سليم بن بريدة عن أبيه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من أنظر معسرا فله بكل يوم مثله صدقة قال ثم سمعته يقول: من أنظر معسرا فله بكل يوم مثليه صدقة قلت: سمعتك يا رسول الله تقول من أنظر معسرا فله بكل يوم مثله صدقة ثم سمعتك تقول من أنظر معسرا فله بكل يوم مثليه صدقة قال: له بكل يوم صدقة قبل أن يحل الدين فإذا حل الدين فأنظره فله بكل يوم مثليه صدقة» (١١٧).

وعن كعب بن عجرة ؓ عن النبي ﷺ أنه قال: «من أنظر معسرا أو يسر عليه أظله الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله» (١١٨).

وعن حذيفة بن اليمان ؓ أن النبي ﷺ قال: «تلقت الملائكة روح رجل ممن كان قبلكم فقالوا: أعملت من الخير شيئا قال: لا قالوا تذكر قال: كنت أداين الناس فأمر فتياي أن ينظروا المعسر ويتجاوزوا عن الموسر قال: قال الله عز وجل تجوزوا عنه» (١١٩).

ومن معاني السماحة أيضا أن يلتزم المسلم بمراعاة حقوق شركائه، ولا يجعل منه المال وسيلة للطمع والاستئثار بحقوق الآخرين وبخاصة بعد نجاح المشروع، وأن لا ينسب الفضل لنفسه، فلولاً توفيق الله له وأموال شركائه ما نمت الشركة وتطورت، وإذا حدث تصفية وتخراج فليكن بالمعروف.

أ/د- الوفاء بالعقود والعهود :

أمر الإسلام بالوفاء بالعقود واحترام العهود وما فيها من التزامات قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ (١٢٠)، ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ (١٢١)، وبذلك يخرج المسلم من دائرة النفاق إلى حظيرة الإيمان، فعن أبي هريرة ؓ عن النبي ﷺ أنه قال: «آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان» (١٢٢).

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: «لو قد جاء مال البحرين قد أعطيتك هكذا وهكذا وهكذا، فلم يجئ مال البحرين حتى قبض النبي ﷺ، فلما جاء مال البحرين أمر أبو بكر فنأدى من كان له عند النبي ﷺ عدة أو دين فليأتنا، فأتيته فقلت: إن النبي ﷺ قال لي كذا وكذا، فحشي لي حشية فعددتها فإذا هي خمسمائة وقال: خذ مثليها» (١٢٣).

إن أهمية الوفاء بالعهد واحترامه جعل خليفة رسول الله أبو بكر الصديق ؓ حريصا أشد الحرص على الوفاء بما عاهد عليه النبي صلى الله عليه وسلم صحابته حتى بعد وفاته صلى الله عليه وسلم.

وحتى يمكن للمسلم الوفاء بما عاهد عليه فإنه يلزمه تجنب ضعف الذاكرة وضعف العزيمة، وقد ساق القرآن الكريم هذه الحقيقة من خلال العهد الذي أخذه الله على آدم أبى البشر بأن لا يقرب من الشجرة المحرمة، لكنه ما لبث أن نسى وضعف، ثم نكث في عهده. قال تعالى : «وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا» (١٢٤).

لقد حرص الإسلام على إنفاذ العقود مادامت متفقة مع حدود الشريعة من خلال توثيقها تجنباً للنسيان وضعف العزيمة، وقد تعددت أساليب التوثيق في الإسلام لتشمل الكتابة «بَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ» (١٢٥)، «وَلَا تَسَامُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِ» (١٢٦)، والشهادة «وَأَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ» (١٢٧)، والرهن «فَرِهَانٌ مَقْبُوضَةٌ» (١٢٨)، والضمان أو الكفالة «وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ» (١٢٩).

وكل هذه الوسائل تؤدي إلى تحقيق ما ذكره القرآن الكريم «ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا» (١٣٠)، فتوثيق العقود وكتابتها، والإشهاد عليها، وأخذ الضمانات لحمايتها أمر ضروري لاستقرار المعاملات وإيفاء الحقوق، وغلق أبواب النزاع والشقاق بين الأفراد، وقد استثنى الشارع الحكيم من الكتابة التجارة الحاضرة لطبيعتها القائمة على السرعة تيسيراً على التجار في معاملاتهم «إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا يَنْكُرُكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا» (١٣١).

يقول السرخسي : «إنما شرع التوثيق بالكتابة لحكم كثيرة منها المحافظة على الأموال، ومنها قطع المنازعة بين المتعاملين، ومنها التحرز عن العقود الفاسدة، ومنها رفع الارتياح، ومنها التذكير بالحق» (١٣٢).

فما أحوج كل مسلم إلى الالتزام بهذه التعاليم التي أدي التهاون بها إلى بزوغ المشاكل بين المسلمين في معاملاتهم، حتى إذا جاء وقت الحساب بينهم تعالت أصواتهم بالاتهامات، ولو كان ما اتفقوا عليه موثقاً لهان الأمر، ولا نصرف كل طرف راضياً مرضياً .

ب- التعامل في الطيبات دون المحرمات :

وذلك من خلال :

ب/أ- تجنب التعامل في الأعيان والأنشطة المحرمة :

وذلك بأن يلتزم المسلم بالتعامل في الطيبات التي أحلها الله تعالى «قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ

الدُّنْيَا خَالِصَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (١٣٣)، وتجنب الحباث التي حرمها الله تعالى ﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ﴾ (١٣٤).

وهذا يعني ألا يستخدم المسلم أمواله إلا فيما تجيزه الشريعة الإسلامية، ويدخل في دائرة الحلال، ومن هذا المنطلق فإن المسلم مطالب بأن لا يتعامل في الأعيان المحرمة كالخمر والمخدرات - علي سبيل المثال - لما في ذلك من ذهاب للعقل، وإتلاف للمال، وتبديد للثروة، وتوريت للعداوة والبغضاء .

ب/ب- تجنب أكل المال بالباطل :

وذلك من خلال تجنب ما يلي :

١- الربا :

نهى الإسلام عن الربا نهيا مغلظا وجعله كبيرة من الكبائر التي تنزل بصاحبها حرب من الله ورسوله، فقال تعالى :

﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (١٣٥).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ (١٣٦).

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : «اجتنبوا السبع الموبقات قالوا يا رسول الله وما هن قال : الشرك بالله ، الساحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات» (١٣٧).

وعن جابر رضي الله عنه قال : «لعن رسول الله ﷺ آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه وقال هم سواء» (١٣٨).

وعن عبد الله بن حنظلة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ «درهم ربا يأكله الرجل وهو يعلم أشد من ست وثلاثين زنية» (١٣٩).

والربا في اصطلاح الفقهاء يعني زيادة أحد البدلين المتجانسين من غير أن يقابل هذه الزيادة عوض .

وينقسم الربا إلى قسمين :

الأول : ربا النسيئة : ويعني الزيادة المشروطة التي يأخذها الدائن من المدين نظير تأجيل الدفع، وهو محرم بالكتاب والسنة والإجماع .

الثاني : ربا الفضل : ويعني بيع النقود بالنقود أو الطعام بالطعام مع الزيادة، وهو محرم بالسنة والإجماع لأنه ذريعة إلى ربا النسيئة^(١٤٠)، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «الذهب بالذهب ، الفضة بالفضة والبر بالبر والشعير بالشعير والتمر بالتمر والملح بالملح مثلاً بمثل يدا بيد فمن زاد أو استزاد فقد أربى الآخذ والمعطي فيه سواء»^(١٤١).

يقول صاحب الظلال : «ولله الحكمة البالغة فلقد كانت للربا في الجاهلية مفسده وشروعه ، ولكن الجوانب، الشائنة القبيحة من وجهه الكالح ما كانت كلها بادية في مجتمع الجاهلية كما بدت اليوم ، وتكشفت في عالمنا الحاضر ... والبشرية الضالة التي تأكل الربا وتوكله تنصب عليها البلايا الماحقة الساحقة من جراء هذا النظام الربوي في أخلاقها ودينها وصحتها واقتصادها، وتتلقى --نقا-- حرباً من الله تصب عليها النقمة والعذاب»^(١٤٢).

٢- الغرر :

يطلق الغرر علي البيوع التي تحتوي علي جهالة وخداع، والتي لا يوثق بتسليمها، وتؤدي للغبن. فهذه البيوع تدور حول الشك في وجود المبيع، أو الجهل بالعاقبة، أو عدم القدرة على تسليم العين المتفق عليها على الأرجح، أو الجهالة التامة أو الغالبة بها

يقول ابن تيمية : «الغرر هو المجهول بالعاقبة»^(١٤٣). وقد حرمه الإسلام، فعن أبي هريرة رضي الله عنه «أن النبي ﷺ نهى عن بيع الحصاة وبيع الغرر»^(١٤٤).

يقول الإمام النووي : «النهى عن بيع الغرر أصل من أصول الشرع يدخل تحته مسائل كثيرة جداً ، ويستثنى من بيع الغرر أمران : أحدهما ما يدخل في المبيع تبعا بحيث لو أفرد لم يصح بيعه ، والثاني ما يتسامح بمثله إما لحقارته ، أو للمشقة في تمييزه ، أو تعيينه»^(١٤٥).

وعلى ذلك يتم التجاوز عن الغرر اليسير للمصلحة كبيع العقار دون كشف أساساته لمعرفة عمقه وعرضه ومتانته، أما الغرر الفاحش فهو الذي نهى الشارع عنه ويدخل تحته المقامرة، وبيع الإنسان ما ليس عنده، وبيع ما اشتراه قبل قبضه، وبيع الدين بالدين، وكذلك مسائل كثيرة «فلا يباع سمك في ماء، ولا صوف على ظهر شاة، ولا جنين في بطن، ولا لبن في ضرع، ولا سمن في لبن، ولا ثمرة قبل ظهور صلاحها، ولا حب قبل اشتداده، ولا سلعة بدون النظر إليها أو تقليبها وفحصها إن كانت حاضرة أو بدون وصفها ومعرفة نوعها وكميتها إن كانت غائبة»^(١٤٦).

٣ - الغش والتدليس والخديعة :

نهى الإسلام عن الغش والتدليس والخديعة لما فيه من ظلم وضرر، ووقوع للعداوة والبغضاء، فهو سلوك نأباه الفطرة السوية والنفس الذكية. فقد مر النبي ﷺ على صبرة طعام فأدخل يده فيها فنالت أصابعه بللاً فقال: ما هذا يا صاحب الطعام قال: أصابته السماء يا رسول الله فقال له صلى الله عليه وسلم: أفلا جعلته فوق الطعام كي يراه الناس من غش فليس مني»^(١٤٧)، ويقول صلى الله عليه وسلم «الخديعة في النار»^(١٤٨).

٤- الاكتناز:

نهى الإسلام عن اكتناز المال لما فيه من تعطيل للمال وحبسه عن التداول، والانتفاع به، وأداء الحقوق منه، وتضييق دائرة المعاملات، فقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَيُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ فذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ﴾^(١٤٩).

٥- الإسراف و التبذير والترف :

إذا كان الإسلام يحرم الاكتناز فإنه في الوقت نفسه يحرم الصورة المتطرفة العكسية له وهو التبذير والإسراف في الإنفاق.

ويقصد بالإسراف تجاوز القصد والاعتدال في الإنفاق، بينما التبذير يعني إنفاق المال فيما لا فائدة منه، وكلاهما محرم لما ينطوي على ذلك من تبديد غير واع لموارد الفرد والجماعة التي ينبغي الحفاظ عليها، والاقتصاد في إنفاقها. يقول تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾^(١٥٠)، ﴿وَأَتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تَبْذُرْ تَبْذِيرًا إِنَّ الْمُبْذِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾^(١٥١).

كما يحرم الإسلام أيضا الترف وهو المبالغة في التمتع ويعتبره سلوكا شادا، وسببا في نزول العذاب وهلاك الأمم وتدميرها. يقول تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾^(١٥٢)، ﴿وَأَصْحَابُ الشَّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشَّمَالِ فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ وظِلٌّ مِّنْ يَّحْمُومٍ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ﴾^(١٥٣).

٦- المنافسة غير المشروعة :

حرص الإسلام على الحرية الكاملة للأسواق في إطار الضوابط الشرعية في الكسب والربح، فالأصل في الإسلام عدم التدخل بفرض سعر معين للسلع المتداولة في الأسواق، حيث إن

التعامل في شريعة الإسلام مبناه على الحرية وصحة ما يتراضى عليه المتعاقدان، وفي هذا منع للضرر الذي يعوق حركة التعامل في الأسواق، فضلا عن الضرر الذي يتعرض له أصحاب السلع والمنتجات. يقول تعالى : ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾^(١٥٤).

ولذلك حرم الإسلام جملة من الأعمال التي يسعى أصحابها من خلالها إلى إيجاد طلب مصطنع أو عرض مصطنع يؤدي إلى الإضرار بالأسواق، وظلم الناس ومنعهم من الحصول على حاجاتهم بسهولة ويسر، ومن هذه الأعمال ما يلي :

١/٦- الاحتكار :

وبعني شراء السلعة وحبسها عن الناس حتى يرتفع ثمنها ثم بيعها. وقد حرم الإسلام الاحتكار لما فيه من الجشع والطمع وسوء الخلق والتضييق علي الناس ، فعن معمر بن عبد الله رضي الله عنه قال : «من احتكر فهو خاطئ»^(١٥٥).

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «الجالب مرزوق والمحتر ملعون»^(١٥٦).

وعن معقل بن يسار رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من دخل في شيء من أسعار المسلمين ليغليه عليهم فإن حقا علي الله تبارك وتعالى أن يقعه بعظم من النار يوم القيامة»^(١٥٧).

٢/٦- التجش :

وبعني مواطأة البائع ممن يزايد على السلعة غير قاصد الشراء لدفع الغير لشرائها بثمن مرتفع أو يدخل فيه من يخبر أنه اشترى السلعة بأكثر مما اشتراه ليضر غيره^(١٥٨).

والإسلام يرفض هذا الخداع الباطل فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : «نهى النبي ﷺ عن التجش»^(١٥٩)، وقال ابن أبي أوفى : التجش آكل ربا خائن وهو خداع باطل لا يحل ، قال النبي ﷺ : «الخدعة في النار ومن عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد»^(١٦٠).

٣/٦- العينة :

ويعنى بيع السلعة بثمان مؤجل ثم شراؤها نقدا بثمان أقل منه، وهو ما يعرف بلغة العصر «حرق السلع»، وهو وسيلة من وسائل التحايل والخديعة التي تلحق ضررا بالغاً بالأسواق لذا حرمها الإسلام، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا ضمن الناس بالدينار والدرهم وتبايعوا بالعينة واتبعوا أذناب البقر وتركوا الجهاد في سبيل الله أنزل الله بهم بلاء فلم يرفعه عنهم حتى يراجعوا دينهم»^(١٦١).

٤/٦- تلقى الركبان ويبيع حاضر لباد :

نهى الإسلام عن تلقى الركبان والمراد بهم الذين يجلبون السلع إلى البلد للبيع سواء كانوا مشاة أو ركباناً أفراداً أو جماعات، حيث يتم الشراء منهم قبل أن يقدموا البلد ويعرفوا الأسعار، مما يضر بالمنافسة الشريفة، ويفوت على الخلق فرصة الحصول على السلع بسعر أرخص في الأسواق، وعلى البائع معرفة سعر السوق الذي يمكن أن يبيع به، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن الرسول ﷺ نهى عن تلقى السلع حتى تهبط الأسواق^(١٦٢)، وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «لا تلقوا الركبان»^(١٦٣).

أما بيع الحاضر لباد فصورته أن يأتي المقيم بالبادية إلى البلد بمتاع تعم الحاجة إليه لبيعه بسعر يومه فيقول له الحضري اتركه عندي لأغالي في بيعه مما يلحق الضرر بالغير .

فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال «لا يبيع حاضر لباد»^(١٦٤) قال : لا يكون له سمسارا .

وعن جابر أن رسول الله قال : «لا يبيع حاضر لباد دعوا الناس يرزق الله بعضهم من بعض»^(١٦٥)، وعن أنس رضي الله عنه قال : «نهينا أن يبيع حاضر لباد وإن كان أخاه أو أباه»^(١٦٦).

٥/٦- البيع على بيع أخيه والسوم على سوم أخيه :

نهى الإسلام أن يبيع المسلم على بيع أخيه وأن يسوم علي سومه. «وصورة السوم أن يأخذ شيئاً ليشتريه فيقول المالك : رده لأبيعتك خيراً منه بثمانه أو مثله بأرخص، أو يقول للمالك استرده لأشتره منك بأكثر من ذلك، وإنما يمنع من ذلك بعد استقرار الثمن وركون أحدهما إلى الآخر»^(١٦٧).

فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : «لا يبيع بعضكم على بيع أخيه»^(١٦٨)، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: نهى رسول الله ﷺ أن يبيع حاضر لباد ولا تناجشوا ولا يبيع

الرجل على بيع أخيه»^(١٦٩)، وعنه أيضاً أن رسول الله ﷺ قال: «لا يسم المسلم على سوم أخيه»^(١٧٠).

٢/٣ - ضوابط تنموية :

الإسلام دين يحرص على البعد التنموي للمال من خلال استثماره فيما ينفع الناس، فسخر الله تعالى ما في الكون عوناً على ذلك، فقال تعالى :

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾^(١٧١).

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾^(١٧٢).

﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّمَن تَتَفَكَّرُونَ﴾^(١٧٣).

وعن ابن مالك أن رسول الله ﷺ قال : «إن قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة فإن استطاع أن لا يقوم حتى يغرسها فليفعل»^(١٧٤).

ومن هنا فقد حرص الإسلام على وضع ضوابط تنموية لاستثمار الأموال بما يحقق لها الحفظ والنماء، وتتمثل هذه الضوابط فيما يلي :

أ - المحافظة علي المال وتنميته :

أوجب الإسلام ضرورة استثمار المال وعدم تركه عاطلاً من أجل المحافظة عليه وتنميته، وحتى لا تأكله الصدقة، وجعل ذلك من المقاصد الشرعية الخمسة التي ترجع إليها جميع تصرفات العباد لتحقيق هدف العبادة وهي (النفوس والعقل والدين والعرض والمال)، ويسر السبيل أمام المستثمر المسلم لتحقيق ذلك عند توجيه أمواله للاستثمار، وذلك من خلال مراعاة ما يلي :

أ/١ - اتباع أرشد السبل في الاستثمار : فتعاليم الإسلام تفرض على المسلم عند مباشرة أعماله أن يتقن هذا العمل ويحسنه لقوله صلى الله عليه وسلم «إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه»^(١٧٥).

والاستثمار عمل له وزن ، ومن ثم يتحتم علي المستثمر المسلم إحسان وإتقان هذا العمل ، واقتباس وابتكار كل أسلوب جديد يؤدي إلى هذا الإتقان .

أ/ب - تجنب السفه ، واستخدام السفهاء لاستثمار الأموال ، وذلك من خلال ما يلي :

١- عدم تمكين السفهاء من استثمار الأموال لقوله تعالى : ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا﴾ (١٧٦).

٢- اختيار المستثمر المسلم للشركاء والمضاربين من ذوي الخبرة والمهارة ، والمشهود لهم بالأخلاق الطيبة .

ب- الالتزام بالأولويات الإسلامية :

الإسلام دين يربط التنمية الاقتصادية بالتنمية الاجتماعية ، ويجعل منهما وجهان لعملة واحدة ، لذا أوجب علي المستثمر المسلم أن يراعي احتياجات وأولويات المجتمع في استثماراته .

فالمستثمر المسام مطالب بتوجيه استثماراته وفق الترتيب الشرعي للأولويات الإسلامية من ضروريات وحاجيات وتحسينات.

والمستثمر المسلم مطالب كذلك بتنويع مجالات الاستثمار لسد الحاجات المقررة للمجتمع ، وهذا فرض كفائي ، بمعنى ضرورة أن يتم العمل علي توفير كل ما يحتاجه المجتمع من صناعة وزراعة وتجارة وخدمات حتى يكتفي المجتمع ، ويستغني عن غيره (١٧٧) .

من أجل ذلك فإن الإسلام رسم السبيل للمستثمر المسلم لمراعاة الأولويات الإسلامية ، والمساهمة في تحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية في المجتمع ، من خلال إلزامه عند توجيهه أمواله للاستثمار بما يلي :

- التشغيل الكامل لرأس المال .

- تغطية الاستثمار للأنشطة الاقتصادية الضرورية للمجتمع ، مع حسن توزيعه علي المناطق والأقاليم .

- مشاركة رأس المال كأحد عوامل الإنتاج مع العوامل الأخرى ؛ بهدف الإنتاج وليس مجرد الحصول علي دخل فقط .

- تنمية العنصر البشري .

ج- الالتزام بالمبادئ الإسلامية :

تتعدد المبادئ لإسلامية الحاكمة لتنمية الأموال، ومن أهمها :

ج/أ- لا ضرر ولا ضرار :

نهى الإسلام عن إلحاق الضرر بالغير ، ونشر الفساد في الأرض، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : «لا ضرر ولا ضرار»^(١٧٨) .

وقد ركز الإسلام علي تطبيق هذه القاعدة في مجال المعاملات ، وفي الجوانب الاقتصادية بتركيز شديد حتى أنه يكن القول بأن بناء المنهج الاقتصادي في الإسلام إنما قام علي مبدأ لا ضرر ولا ضرار^(١٧٩). وتطبيقا لهذه القاعدة يجب علي المستثمر المسلم أن يوازن بين مصلحته ومصلحة المجتمع عند توجيه أمواله للاستثمار.

إن شريعة الإسلام تعتبر النشاط الإنساني اقتصاديا إذا كانت له منفعة تبادلية ، وحقق ربحا شريطة أن يخلو من الفساد ، إذ علي المستثمر المسلم في المجتمع أن يؤدي واجباته في حدود المنفعة، وذلك هو الإحسان، فيحرم عليه أن يمتنع عن فعل الخير إذا كان فيه منفعة للناس^(١٨٠) .

ج/ب- ربط الكسب بالجهد :

يربط الإسلام ارتباطا وثيقا بين الكسب (العائد) والجهد المبذول، فلا كسب بدون جهد، ولا جهد بدون كسب. والمستثمر المسلم وفقا لذلك يعني أن هناك علاقة بين مركز رأس المال وتعرضه للمخاطر أثناء دورته المالية والتجارية، فكلما زاد معدل دوران رأس المال كلما زادت المخاطرة وبالتالي زيادة العائد والعكس صحيح فكلما قل معدل دوران رأس المال تقل درجة المخاطرة وبالتالي يقل العائد، وقد فطن إلى هذه العلاقة ابن خلدون في مقدمته حيث قال: «إن نقل السلع من البلد البعيد المسافة أو في شدة الخطر في الطرقات يكون أكثر فائدة للتجار وأعظم أرباحا وأكفل بحالة الأسواق؛ لأن السلعة المنقولة حينئذ تكون قليلة معوزة لبعدها مكانها أو شدة الغرر في طريقها فيقل حاملوها ويعز وجودها وإذا قلت وعزت غلت أثمانها، وأما إذا كان البلد قريب المسافة والطريق ثابت سابل بالأمن فإنه حينئذ يكثر ناقلوها فتكثر وترخص أثمانها»^(١٨١).

ج/ج- الغنم بالغرم :

تعتبر قاعدة «الغنم بالغرم»، و«الخراج بالضمان»^(١٨٢) من أهم الضوابط التي تحكم عمل المستثمر المسلم عند توجيه أمواله للاستثمار، فمن يتحمل مخاطر استخدام المال يحصل علي منفعه أو عوائد استثماره .

فلا يصح أن يضمن إنسان لنفسه مغنما ويلقي المغرم علي عاتق غيره، فيقدر ما يغنمه صاحب المال من أرباح في وقت الرواج واليسر، بقدر ما يجب أن يتحمل من خسائر في أوقات الكساد والعسر.

يقول الكاساني: «الأصل أن الربح إنما يستحق إما بالمال وإما بالعمل، أما ثبوت الاستحقاق بالمال فظاهر لأن الربح نماء رأس المال فيكون لملكه ولهذا يستحق ربح المال في المضاربة، وإما بالعمل فإن المضارب يستحق الربح بعمله، وإما بالضمان فإن المال إذا صار مضمونا على المضارب يستحق جميع الربح ويكون الربح بمقابلة الضمان خراجا بضمان»^(١٨٣).

✧ خاتمة :

وبعد فقد تعرض هذا البحث للجوانب الاقتصادية في حياة قارون من خلال التعرف على قارون وقومه ونشاطه الاقتصادي ونظراته للمال، وكذلك النظرة الإسلامية للمال، وسعت هذه الدراسة إلى بيان السبيل أمام رجال الأعمال للفرار من خطى قارون، والسير على النهج الذي يريده الله لكل صاحب مال، وقد تبين من هذه الدراسة ما يلي :

١- قارون كان من قوم موسى وهم بنو إسرائيل وابن عمه وممن آمنوا به، وكان له باع طويل وخبرة عظيمة في أمور المكاسب من طرق شتى سواء في مجال الزراعة أو الصناعة أو التجارة، حتى صار له من الثروة ما يعجز عن حمل مفاتحه العصبة من الرجال الأقوياء الشداد، ورغم هذه النعمة فإنه لم يقابلها بالشكر بل قابلها بالجحود والبطران، فلم يعترف لله بفضلها، وظن أن الله تعالى فضله على قومه بهذا المال لاستحقاقه بعلمه وفضله.

٢- قامت النظرية القارونية للمال على نسيان مصدر هذا المال وهو الله تعالى، ونسب ذلك الفضل لمن يكتسب المال، والبغي على خلق الله، فالمال مال قارون اكتسبه بجهده، ولا سلطان لأحد عليه، وله أن يكتسب المال كيفما يشاء وأن يتصرف فيه وفقما يشاء، دون رقابة من ضمير أو شكر لمصدر هذه النعمة أو إيتاء لحق الفقراء فيها، مع عدم الاعتداد بنصيحة الناصحين، ومقابلة ذلك بمزيد من الكبر والغرور، فما كان من شأنه إلا أن فتحت له الأرض بطنها لتغمسه في ظلماتها بعد أن علا فيها واستطال فوقها، وذهب ضعيفا عاجزا غير مأسوف عليه، لا ينصره أحد، ولا يمنعه ماله وجاهه عما حل به ويداره ومن معه من خسف.

٣- يجب أن لا ينخدع المسلم بالمظاهر الزائفة الزائلة، فلا تكون نظراته كنظرة من تمنى أن يكون لهم مثل ما أوتي قارون من المال، ونظروا إلى قارون على أنه ذو حظ عظيم ونصيب وافر من الدنيا، وتمنوا أن لو كانوا مكانه. بل لابد له من يقين جازم بأن ما عند الله خير وأبقى من الأموال الفانية ومن لذات الدنيا وشهواتها، وليجعل جل همهم توقيير الإيمان في القلوب والعمل الصالح بالجوارح وما يتضمنه من اكتساب الأموال، والنظر إلى الدنيا على أنها مزرعة للآخرة لانهاية المطاف ومطمع الآمال.

٤- الله هو الذي يمنح طاقات العلم والعمل ويعطي الصحة والقوة ويمنح المواهب لإدارة الأموال ويغير هذه النعمة الربانية يصبح الإنسان لا حول له ولا قوة. فلا يظن صاحب مال أن ما لديه من مال منحه الله تعالى إياه لاستحقاقه ذلك بعلمه وفضله، حيث إن المال ليس دليل رضا

اللَّهُ عن صاحبه فهو سبحانه يعطى ويمنع ويضيق ويوسع ويخفض ويرفع ويبسط ويقدر بمشيئته لا لفضل وكرامة تقتضي البسط، ولا لهوان وسخط يوجب القبض.

٥- النظرة القارونية للمال التي بدأت بقارون لم تنته بعد، بل هي ظاهرة تتكرر في كل عصر وفي كل مصر، وسيظل قارون أو بالأحرى الثياب والمظاهر القارونية وكفران النعمة والتعالي على الخلق تجد من يطلبها ويسعى إلى الحصول عليها طالما أننا نجد في المجتمعات من يبتعد عن هدى الله.

٦- المال في الإسلام ليس غاية في ذاته وإنما هو وسيلة من وسائل تبادل المنافع وقضاء الحوائج، فمن استعمله في هذا السبيل فإن المال في يده خير له وللمجتمع، ومن استعمله على أنه غاية ولذة انقلب إلى شهوة تورث صاحبه المهالك، وتفتح على الناس أبوابا من الفساد.

فالمسلم مطالب بكسب المال ليكون بيده وعلى ألا يستعبد قلبه، وأن يستغله خيره وخير أمته وخير أهله، ويسعى من خلاله إلى التقرب إلى الله تعالى بأنواع عديدة من القربات طمعا في حسن ثواب الدنيا والآخرة، مع التواضع والحشية لله، والشكر على هذه النعمة.

٧- أمر الإسلام بالإحسان في المال وذلك باستعمال مال الله في طاعة الله، بأن يأتي صاحب المال بالمال من حلال، وينفق ما آتاه الله منه في وجوهه وسبله، مبتغيا رضا الله تعالى والدار الآخرة، غير ناسي نصيبه من الدنيا، مستشعرا إحسان الله عليه بتوسيع رزقه عليه، ملتزما بالضوابط التي وضعها الإسلام للإحسان في المال، وتتمثل هذا الضوابط فيما يلي :

١/٧- ضوابط إيمانية : وذلك باعتقاد كل صاحب مال بأن المال مال الله والبشر مستخلفون فيه، فيسعى للاستفادة مما سخره الله في الكون من مقومات بتسخير عقله وعلمه وجمع همه وإرادته للانتفاع بهذه المقومات واستثمار خيرها، مع استحضار النية في أعماله المالية كما يستحضرها في أعماله التعبدية، والإيمان بقضاء الله وقدره في الربح والخسارة، والأخذ بالأسباب والعمل لجلب الأرزاق مع التوكل على الله وتقواه والإكثار من استغفاره وتجنب معصيته، وإيمانه بأن التفاوت في الأرزاق سنة من سنن الله تعالى، وحرصه على الحفاظ على مقاصد الشريعة في العبادة، فلا تشغله أمواله عن إحسان العبادة لله عز وجل .

٢/٧- ضوابط أخلاقية : وذلك بأن يتمسك صاحب المال بأخلاق وآداب الإسلام لقدرتها على تأهيله لكي يكون صالحا لكل عمل من أعمال الخلافة في الأرض متميزا عن غيره من البشر، فيلزم نفسه بالصدق وذلك بأن يلتزم في البيع والشراء جانب البيان والوضوح والشفافية، وتجنب ترويع السلع بالدعاية الكاذبة والحلف الكاذب، وأن يستوي عنده درهمه ودرهم شركائه،

فيفصح لهم عما بينهم من معاملات بكل شفافية دون استئثار بمعلومات لنفسه تحول بينهم وبين معرفة مصير أموالهم.

كما يلزم نفسه بالأمانة فيكون أميناً في الكيل والميزان فلا يبخس الناس أشياءهم ويكيل لهم بغير ما يتمنى أن يكتال له، وكذلك إظهار عيب بضاعته لمشتريها إذا كان فيها عيباً عملاً بحق المسلم عليه في النصيحة، موقناً أن تلبس العيوب وترويج السلع لا يزيد رزقاً، بل يحقه وبذهب بركته، فالمال لا يزيد من خيانة.

كما يلزم نفسه بالسماحة وذلك بالتيسير في البيع والشراء، فيقبل غبن أخيه البائع إذا كان ضعيفاً أو فقيراً، ولا يغالي في الأسعار إذا كان بائعاً، ويقلل أخاه المسلم المشتري إذا طلب إعادة السلعة إليه فيرفع الضيق والخرج عنه، وأن يسعى إلى حسن قضاء ما عليه من ديون، ويربأ بنفسه أن يكون ممن يأكلون أموال الناس بالباطل سواء أكانت هذه الأموال لبنوك أو لأفراد، وليحرص على أداء دينه في ميعاد استحقاقه بإحسان، وإذا تعثر في السداد فلا يكثر من الأعذار ولينو القضاء، ومهما كلمه صاحب الحق بكلام ولو كان شديداً فليحتمل ذلك وليقابل به باللطف، وأن يقوم بالتيسير على المدينين المتعثرين فيحسن لهم مرة بالمساحة وحط البعض، ومرة بالإمهال والتأخير، وأن يراعي حقوق شركائه، ولا يجعل منه المال وسيلة للطمع والاستئثار بحقوق الآخرين، وإذا حدث نصفية وتخارج فليكن بالمعروف.

كما يلزم نفسه بالوفاء بالعقود واحترام العهود وما فيها من التزامات، ملتزماً بتوثيقها وكتابتها، والإشهاد عليها، وأخذ الضمانات لحمايتها تحقيقاً لاستقرار المعاملات وإيفاء الحقوق، وغلق أبواب النزاع والشقاق.

وإلى جانب ذلك فإن المسلم مطالب كذلك بأن يلتزم بالتعامل في الطيبات دون الخبائث، وتجنب أكل المال بالباطل من خلال الربا والغرر والغش والتدليس والخديعة والاكتمال والإسراف والتبذير وترف ووسائل المنافسة غير المشروعة من احتكار ونجش وعينة وتلقى الركبان وبيع حاضر لباد والبيع على بيع أخيه والسوم على سومه.

٣/٧ - ضوابط تنموية : وذلك بأن يلتزم صاحب المال بعدم ترك المال عاطلاً واستثماره فيما ينفع الناس وما يساهم في تحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية في المجتمعات الإسلامية، مستخدماً أرشد السبل في استثماره متجنباً السفه واستخدام السفهاء في ذلك، مراعيًا احتياجات وأولويات المجتمع، موجهًا هذه الاستثمارات وفق الترتيب الشرعي للأولويات الإسلامية من ضروريات وحاجيات وتحسينات، ملتزماً بالمبادئ الإسلامية الحاكمة لتنمية الأموال، كمبدأ لا ضرر ولا ضرار، وربط لكسب بالجهد، والغنم بالغرم.

الهوامش والمراجع

- (١) الذاريات، ٥٦
- (٢) هود، ٦١
- (٣) الملك، ١٥
- (٤) القصص، ٧٨
- (٥) انظر، محمد بن جرير الطبري أبو جعفر، تاريخ الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ، ج ١، ص ٢٦٣، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، فتح القدير، دار التراث، ج ٤، ص ٢٦٤، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي أبو عبد الله، تفسير القرطبي، تحقيق أحمد عبد العليم البردوني، دار الشعب، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٧٢هـ، ج ١٣، ص ٢٦٤.
- (٦) انظر، المرجع السابق، ج ١٣، ص ٢٧٤، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبو الفداء، البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، ج ١، ص ٣٠٩، محمد بن جرير الطبري أبو جعفر، تفسير الطبري، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٥هـ، ج ١٠، ص ٩٩.
- (٧) انظر، المرجع السابق، نفس الموضع، الحسين بن مسعود بن الفراء، تفسير البغوي، دار التراث، ج ١، ص ٢٢٠.
- (٨) انظر، الطبري، تفسير الطبري، مرجع سابق، ج ١٠، ص ٩٩، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبو الفداء، تفسير القرآن العظيم، دار الفكر بيروت، ١٤٠١هـ، ج ٣، ص ٤٠٠.
- (٩) انظر، المرجع السابق، نفس الموضع، القرطبي، تفسير القرطبي، مرجع سابق، ج ١٣، ص ٢٧٩، ابن الفراء، تفسير البغوي، مرجع سابق، ج ١، ص ٢٢٢، الشوكاني، فتح القدير، مرجع سابق، ج ٤، ص ٢٦٤.
- (١٠) القصص، ٧٦-٨٣.
- (١١) العنكبوت، ٣٩-٤٠.
- (١٢) غافر، ٢٣-٢٤.
- (١٣) القصص، ٤.
- (١٤)، (١٥) القصص، ٧٨.
- (١٦) الطبري، تفسير الطبري، مرجع سابق، ج ١٠، ص ١٠٧.
- (١٧)، (١٨) القصص، ٧٦.
- (١٩) القصص، ٧٧.

- (٢٠) القرطبي، تفسير القرطبي، مرجع سابق، ج ١٣، ص ٢٧٤، الشوكاني، فتح القدير، مرجع سابق، ج ٤، ص ٢٦٠، ابن الفراء، تفسير البغوى، مرجع سابق، ج ١، ص ٢٢٠، عبد الله بن عمر بن محمد بن علي الشيرازي، تفسير البيضاوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ج ١، ص ٣٠٣.
- (٢١) جلال الدين السيوطي، زيادة الجامع الصغير، والدرر المنتثرة، دار الكتب العربية الكبرى، بمصر، حرف الهمزة.
- (٢٢) أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ، ج ١٠، ص ٢٦١.
- (٢٣) القرطبي، تفسير القرطبي، مرجع سابق، ج ١٣، ص ٢٧٤، ابن الفراء، تفسير البغوى، مرجع سابق، ج ١، ص ٢٢٣.
- (٢٤) الطبري، تفسير الطبري، مرجع سابق، ج ١٠، ص ١٠٩.
- (٢٥) التوبة، ٧٥-٧٧.
- (٢٦) النور، ٣٧.
- (٢٧) مجلة الأهرام الاقتصادية، القاهرة، العدد ١٨٢٦، ١٥/١/٢٠٠٤م، ص ٢٦.
- (٢٨) د. محمد مصطفى شلبي، المدخل في التعريف بالفقه الإسلامي وقواعد الملكية والعقود فيه، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٠١هـ، ١٩٨١م، ص ٣٣٠.
- (٢٩) الليل، ٥-١١.
- (٣٠) الأنفال، ٢٨.
- (٣١) العلق، ٦-٧.
- (٣٢) آل عمران، ١٤.
- (٣٣) مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج ٤، ص ٢٢٧٣.
- (٣٤) محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، سنن الترمذي، تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرون، دار حياء التراث العربي، بيروت، ج ٤، ص ٥٨٨، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.
- (٣٥) المرجع السابق، ج ٤، ص ٥٦٩، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب.
- (٣٦) الكهف، ٤٦.
- (٣٧) النساء، ٥.

- (٣٨) البقرة، ١٨١.
- (٣٩) العاديات، ٨.
- (٤٠) أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني، مسند أحمد، مؤسسة قرطبة، مصر، ج٤، ص ١٩٧.
- (٤١) أحمد بن عبد الرحمن بن قدامة المقدسي، مختصر منهاج القاصدين، دار التراث، ١٣٩٨هـ، ص ١٩٦.
- (٤٢) أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، إحياء علوم الدين، مكتب الايمان، المنصورة، ج٣، ص ٢٢١.
- (٤٣) ابن قدامة المقدسي، مختصر منهاج القاصدين، مرجع سابق، ص ١٩٦.
- (٤٤) حسن البنا، حديث الثلاثاء، مكتبة القرآن، القاهرة، ص ٤٠٦ (بتصرف).
- (٤٥) الأعراف، ١٢٩.
- (٤٦) يونس، ١٤.
- (٤٧) محمد بن إسحاق بن خزيمة أبو بكر السلمي النيسابوري، صحيح ابن خزيمة، تحقيق د. محمد مصطفى الأظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٣٩٠هـ، ١٩٧٠م، ج٤، ص ١٢٢.
- (٤٨) محمد بن اسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، صحيح البخاري، تحقيق د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م، ج١، ص ٣.
- (٤٩) أحمد بن حنبل، مسند أحمد، مرجع سابق، ج١، ص ١٧٣.
- (٥٠) زين الدين أبي الفرج بن رجب الحنبلي، جامع العلوم والحكم، دار الدعوة، ص ١٦٤.
- (٥١) الترمذي، سنن الترمذي، مرجع سابق، ج٤، ص ٥٧٣، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح لا نعرفه إلا من هذا الوجه.
- (٥٢) النبأ، ١١.
- (٥٣) الأعراف، ١٠.
- (٥٤) البقرة، ١٩٨.
- (٥٥) المزمل، ٢٠.
- (٥٦) الجمعة، ١٠.
- (٥٧) الملك، ١٥.
- (٥٨) محمد بن سلامة بن جعفر أبو عبد الله القضاعي، مسند الشهاب، تحقيق، حمدي عبد المجيد السلفي، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٦م، ج٢، ص ١٤٨.
- (٥٩) أحمد بن حنبل، مسند أحمد، مرجع سابق، ج٣، ص ٤٦٦.

- (٦٠) عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي أبو محمد، المغني، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ، ج ٢، ص ٤٩٥.
- (٦١) محمد بن يزيد بو عبد الله القزويني، سنن ابن ماجه، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت، ج ٢، ص ٧٢٥.
- (٦٢) نوح، ١١-١٢.
- (٦٣) هود، ٣.
- (٦٤) الطلاق، ٢-٣.
- (٦٥) الأعراف، ٩٦.
- (٦٦) القزويني، سنن ابن ماجه، مرجع سابق، ج ٢، ص ١٢٥٤.
- (٦٧) النحل، ٧١.
- (٦٨) محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، صحيح ابن حبان، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ، ١٩٩٣م، ج ٣، ص ١٤٣.
- (٦٩)، (٧٠) الغزالي، إحياء علوم الدين، مرجع سابق، ج ٢، ص ٧٦.
- (٧١) النور، ٣٦-٣٨.
- (٧٢) الجمعة، ١٠.
- (٧٣) البخاري، صحيح البخاري، مرجع سابق، ج ٢، ص ٧٢٦.
- (٧٤) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، ج ٤، ص ٣٦٨.
- (٧٥) القلم، ٣.
- (٧٦) سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، المعجم الصغير، تحقيق محمد شكور محمود الحاج أمير، المكتب الإسلامي، بيروت، دار عمار، عمان، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م، ج ١، ص ٧٢.
- (٧٧) الأحزاب، ٧٠-٧١.
- (٧٨) الترمذي، سنن الترمذي، مرجع سابق، ج ٣، ص ٥١٥، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح لا نعرفه إلا من هذا الوجه.
- (٧٩) البخاري، صحيح البخاري، مرجع سابق، ج ٢، ص ٧٣٢.
- (٨٠) الترمذي، سنن الترمذي، مرجع سابق، ج ٣، ص ٥١٥، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.
- (٨١) مسلم، صحيح مسلم، مرجع سابق، ج ١، ص ١٠٢.

- (٨٢)، (٨٣) عبد العظيم بن عبد القوى المنذري أبو محمد، الترغيب والترهيب، تحقيق إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ، ج ٢، ص ٣٦٧.
- (٨٤) البقرة، ٢٢٤.
- (٨٥) آل عمران، ٧٧.
- (٨٦) سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي، سنن أبي داود، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، ج ٤، ص ٢٢٣.
- (٨٧) ابن حبان، صحيح ابن حبان، مرجع سابق، ج ١١، ص ٢٧١.
- (٨٨) أبو داود، سنن أبي داود، مرجع سابق، ج ٣، ص ٢٥٦.
- (٨٩) القزويني، سنن ابن ماجه، مرجع سابق، ج ٢، ص ٧٦٨.
- (٩٠) الأحزاب، ٧٢.
- (٩١) أحمد بن حنبل، مسند أحمد، مرجع سابق، ج ٣، ص ١٣٥.
- (٩٢) القصص، ٢٦.
- (٩٣) البخاري، صحيح البخاري، مرجع سابق، ج ٥، ص ٢٣٨٢.
- (٩٤) الأنعام، ١٥٢.
- (٩٥) الرحمن، ٩.
- (٩٦) المطففين، ١-٦.
- (٩٧) محمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، المستدرک على الصحيحين، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ، ١٩٩٠م، ج ٢، ص ٣٦، هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.
- (٩٨) القزويني، سنن ابن ماجه، مرجع سابق، ج ٢، ص ١٣٣٢.
- (٩٩) الغزالي، إحياء علوم الدين، مرجع سابق، ج ٢، ص ٧١.
- (١٠٠) سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، المعجم الكبير، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٣م، ج ٢، ص ٣٥٩.
- (١٠١) المرجع السابق، ج ٢٢، ص ٩١.
- (١٠٢) القزويني، سنن ابن ماجه، مرجع سابق، ج ٢، ص ١٣٣٢.
- (١٠٣) البخاري، صحيح البخاري، مرجع سابق، ج ٢، ص ٧٣٠.
- (١٠٤) أحمد بن حنبل، مسند أحمد، مرجع سابق، ج ٥، ص ٢٧.
- (١٠٥) ابن حبان، صحيح ابن حبان، مرجع سابق، ج ١١، ص ٤٠٥.

- (١٠٦) البخاري، صحيح البخاري، مرجع سابق، ج ٢، ص ٨٤٢.
- (١٠٧) أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، شرح النووي على صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ، ج ٥، ص ٢٢٨.
- (١٠٨) القزويني، سنن ابن ماجه، مرجع سابق، ج ٢، ص ٨٠٩.
- (١٠٩) الطبراني، المعجم الكبير، مرجع سابق، ج ٨، ص ٢٤٣.
- (١١٠)، (١١١) المرجع السابق، ج ٢٤، ص ٢٨.
- (١١٢) البخاري، صحيح البخاري، مرجع سابق، ج ٢، ص ٨٠٩.
- (١١٣) البقرة، ٢٨٠.
- (١١٤) أحمد بن علي بن المشني أبو يعلى الموصلي التميمي، مسند أبي يعلى، تحقيق حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م، ج ١٢، ص ٣١٢.
- (١١٥) أحمد بن حنبل، مسند أحمد، مرجع سابق، ج ١، ص ٢٤٨.
- (١١٦) مسلم، صحيح مسلم، مرجع سابق، ج ٣، ص ١١٩٦.
- (١١٧) أحمد بن حنبل، مسند أحمد، مرجع سابق، ج ٥، ص ٢٦٠.
- (١١٨) الطبراني، المعجم الكبير، مرجع سابق، ج ١٩، ص ١٠٦.
- (١١٩) مسلم، صحيح مسلم، مرجع سابق، ج ٣، ص ١١٩٤.
- (١٢٠) المائدة، ١.
- (١٢١) الإسراء، ٣٤.
- (١٢٢) البخاري، صحيح البخاري، مرجع سابق، ج ١، ص ٢١.
- (١٢٣) المرجع السابق، ج ٢، ص ٨٠٣.
- (١٢٤) طه، ١١٥.
- (١٢٥)، (١٢٦)، (١٢٧) البقرة، ٢٨٢.
- (١٢٨) البقرة، ٢٨٣.
- (١٢٩) يوسف، ٧٢.
- (١٣٠)، (١٣١) البقرة، ٢٨٢.
- (١٣٢) محمد بن أبي سهل السرخسي أبو بكر، المبسوط، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٦هـ، ج ٣، ص ٦٨.
- (١٣٣) الأعراف، ٣٢.
- (١٣٤) المائدة، ١٠٠.
- (١٣٥) البقرة، ٢٧٥.

- (١٣٦) البقرة، ٢٧٨-٢٧٩.
- (١٣٧) البخاري، صحيح البخاري، مرجع سابق، ج ٣، ص ١٠١٧.
- (١٣٨) مسلم، صحيح مسلم، مرجع سابق، ج ٣، ص ١٢١٩.
- (١٣٩) أحمد بن حنبل، مسند أحمد، مرجع سابق، ج ٥، ص ٢٢٥.
- (١٤٠) سيد سابق، فقه السنة، مكتبة المسلم، ج ٣، ص ١٧٨.
- (١٤١) أحمد بن حنبل، مسند أحمد، مرجع سابق، ج ٣، ص ٩٧.
- (١٤٢) سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت، الطبعة الثانية عشر، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م، ج ١، ص ٣١٨.
- (١٤٣) أحمد عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، القواعد النورانية، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٥١م، ص ٣٨.
- (١٤٤) أحمد بن حنبل، مسند أحمد، مرجع سابق، ج ٢، ص ٤٣٦.
- (١٤٥) النووي، شرح النووي على صحيح مسلم، مرجع سابق، ج ٤، ص ٣٥٧.
- (١٤٦) انظر، أبو بكر جابر الجزائري، منهاج المسلم، المكتب الثقافي بالأزهر، القاهرة، الطبعة الأولى، ص ٣١٩.
- (١٤٧) مسلم، صحيح مسلم، مرجع سابق، ج ١، ص ٩٩.
- (١٤٨) البخاري، صحيح البخاري، مرجع سابق، ج ٢، ص ٧٥٣.
- (١٤٩) التوبة، ٣٤-٣٥.
- (١٥٠) الأعراف، ٣١.
- (١٥١) الإسراء، ٢٦-٢٧.
- (١٥٢) الإسراء، ١٦.
- (١٥٣) الواقعة، ٤١-٤٥.
- (١٥٤) البقرة، ١٨٨.
- (١٥٥) مسلم، صحيح مسلم، مرجع سابق، ج ٣، ص ١٢٢٧.
- (١٥٦) القزويني، سنن ابن ماجه، مرجع سابق، ج ٢، ص ٧٢٨.
- (١٥٧) أحمد بن حنبل، مسند أحمد، مرجع سابق، ج ٥، ص ٢٧.
- (١٥٨) محمد بن علي بن محمد الشوكاني، نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث سيد الأخيار، دار الحديث، القاهرة، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٦م، ج ٥، ص ١٦٦.
- (١٥٩) ، (١٦٠) البخاري، صحيح البخاري، مرجع سابق، ج ٢، ص ٧٥٣.
- (١٦١) أحمد بن حنبل، مسند أحمد، مرجع سابق، ج ٢، ص ٢٨.

- (١٦٢) ابن حبان، صحيح ابن حبان، مرجع سابق، ج ١١، ٣٣٤.
- (١٦٣) ، (١٦٤) البخاري، صحيح البخاري، مرجع سابق، ج ٢، ص ٧٥٧.
- (١٦٥) الترمذي، سنن الترمذي، مرجع سابق، ج ٣، ص ٥٢٦، قال أبو عيسى: هذا حديث صحيح.
- (١٦٦) مسلم، صحيح مسلم، مرجع سابق، ج ٣، ص ١٢٥٨.
- (١٦٧) الشوكاني، نيل الأوطار، مرجع سابق، ج ٥، ص ٢٠٥.
- (١٦٨) ، (١٦٩) البخاري، صحيح البخاري، مرجع سابق، ج ٢، ص ٧٥٢.
- (١٧٠) مسلم، صحيح مسلم، مرجع سابق، ج ٣، ص ١٢٥٤.
- (١٧١) الملك، ١٥.
- (١٧٢) إبراهيم، ٣٢-٣٤.
- (١٧٣) الجاثية، ١٣.
- (١٧٤) أحمد بن حنبل، مسند أحمد، مرجع سابق، ج ٣، ص ١٩١.
- (١٧٥) أبو يعلى، مسند أبي يعلى، مرجع سابق، ج ٧، ص ٣٤٩.
- (١٧٦) النساء، ٥.
- (١٧٧) انظر د محمد عبد الحليم عمر، الأولويات الاستثمارية في المنهج الإسلامي، مجلة الاقتصاد الإسلامي، بنك دبي الإسلامي، العدد ٦٠، ذو القعدة، ١٤٠٦ هـ، ص ٨-٩.
- (١٧٨) القزويني، سنن ابن ماجه، مرجع سابق، ج ٢، ص ٧٨٤.
- (١٧٩) انظر، د سامي عبد الرحمن قابل، تحليل وتقييم نظام الاستثمار بالمشاركات في البنوك الإسلامية، المجلة المصرية للدراسات التجارية، كلية التجارة، جامعة المنصورة، العدد الأول، ١٩٨٥م، ص ٦٢.
- (١٨٠) انظر، د أحمد مصطفى عفيفي، معايير استثمار الأموال في الإسلام، مجلة الاقتصاد الإسلامي، بنك دبي الإسلامي، العدد ١٧٠، المحرم ١٤١٦ هـ، ص ٤٧.
- (١٨١) عبد الرحمن بن خلدون المغربي، مقدمة بن خلدون، دار بن خلدون، الإسكندرية، ص ٢٧٨.
- (١٨٢) القزويني، سنن ابن ماجه، مرجع سابق، ج ٢، ص ٧٥٤.
- (١٨٣) علاء الدين أبو بكر بن مسعود بن أحمد الكاساني، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الناشر زكريا عيسى حسن، القاهرة، ج ٧، ص ٣٥٤٥.